

المُشْتَرَكُ الصَّرْفِيُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ دِرَاسَةٌ اسْتِشْرَافِيَّةٌ وَدَلَالِيَّةٌ

مِهَادٌ وَتَأْسِيسٌ:

كَانَ مِنَ الْبَاحِثِ قَبْلًا أَنْ عَرَّجَ عَلَى ظَاهِرَةِ الْمُشْتَرَكِ الصَّرْفِيِّ فِي مُبَاحَثَةٍ ارْتَضَى لَهَا عِنْوَانَ "ظَاهِرَةُ تَعَدُّدِ الْمَعَانِي الصَّرْفِيَّةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ: الْمَوَاضِعِ وَالْبَوَاعِثِ"⁽¹⁾، وَالْحَقُّ أَنَّهَا كَانَتْ فِي وَجْهَتِهَا الْبَحْثِيَّةِ تَعْرِيفِيَّةً بِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ، وَاسْتِشْرَافِيَّةً لِمَوَاضِعِهَا مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَّةٍ، وَتَحْلِيلِيَّةً لِبَوَاعِثِهَا مِنْ جِهَةٍ ثَالِثَةٍ، وَلَعَلَّهَا اتَّسَمَتْ بِالْعُمُومِ فِي الصُّورَةِ الَّتِي خَرَجَتْ عَلَيْهَا، وَقَدْ قَامَ فِي نَفْسِ الْبَاحِثِ بَعْدًا خَاطِرٌ مُؤَدَّاهُ أَنْ يُخَصِّصَ دَرَسَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ عَلَى التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْمُبَاحَثَةُ اسْتِجَابَةً لِذَلِكَ الْخَاطِرِ الْقَائِمِ فِي النَّفْسِ أَوَّلًا، وَتَحْقِيقًا لِتَوْصِيَةِ مِنَ التَّوَصِيَاتِ الَّتِي قَعَلَ بِهَا الْبَاحِثُ مُبَاحَثَتَهُ تِلْكَ ثَانِيًا، وَتَخْصِيصًا لَهَا فِي مِضْمَارٍ قَائِمٍ بِرَأْسِهِ ثَالِثًا؛ ذَلِكَ أَنَّ الْبَاعِثَ الَّذِي أَفْضَى إِلَى الْمُبَاحَثَةِ الْأُولَى كَانَ شَاهِدًا شَرِيفًا مِنْ شَوَاهِدِ التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ، فَقَدْ اعْتَرَضَ الْبَاحِثَ، إِذْ كَانَ مُحَاضِرًا فِي طَلَابِهِ، طَالِبٌ نَابِهٌ مُسَائِلًا عَنِ الْمَعْنَى الصَّرْفِيِّ الْمَرْكُوزِ فِي كَلِمَةِ "مَوْعِدٍ" فِي سِيَاقِهَا الْقُرْآنِيِّ الشَّرِيفِ: "فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ"⁽²⁾، وَالْحَقُّ أَنَّهُ أَلْقَى حُكْمَهُ جُزْأً وَقَتَّهَا، وَبَعَدَ إِجَالَةَ النَّظَرِ وَالتَّدْبِيرِ فِيمَا قِيلَ فِيهَا تَقَرَّرَ أَنَّهَا صَيْغَةٌ صَّرْفِيَّةٌ وَزَنْهَا "مَفْعَلٌ"، وَأَنَّهَا حَمَالَةٌ لِثَلَاثَةِ مَعَانٍ صَّرْفِيَّةٍ فِي سِيَاقِهَا ذَلِكَ، أَوَّلُهَا الْمَصْدَرُ، وَيَعْبُذُ هَذَا قَوْلُهُ - تَنَزَّرَ -: "لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ"، وَثَانِيهَا اسْمُ الزَّمَانِ، وَيَعْبُذُهُ: "قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ"⁽³⁾، وَثَالِثُهَا اسْمُ الْمَكَانِ، وَيَعْبُذُهُ: "مَكَانًا سَوَى"⁽⁴⁾، فَهِيَ، أَعْنِي صَيْغَةُ "مَفْعَلٌ"، بِنَاءٍ عَلَى الْمُتَقَدِّمِ وَصَفُهُ، مُشْتَرَكٌ صَّرْفِيٌّ تَكَادُ تُشْبِهُهُ مِنْ وَجْهِهِ كَلِمَةُ "الْعَيْنِ" الْحَمَالَةُ لِمَعَانٍ مُتَبَايِنَةٍ، كَعَيْنِ الْمَاءِ، وَالْجَاسُوسِ، وَالنَّقْدِ، وَالْعَيْنِ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمَلْمُوحِ الْفَرَاقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ ظَاهِرَةَ الْمُشْتَرَكِ الصَّرْفِيِّ مِضْمَارُهَا الْبِنْيَةُ الصَّرْفِيَّةُ الْمُنتَسِبَةُ إِلَى الْمُسْتَوَى الصَّرْفِيِّ خَاصَّةً، وَأَنَّ ظَاهِرَةَ الْمُشْتَرَكِ اللَّفْظِيِّ مِضْمَارُهَا الْكَلِمَاتُ الْمُعْجَمِيَّةُ.

فِي مَقَاصِدِ الْعُنْوَانِ:

لَعَلَّ الَّذِي يَظْهَرُ مِنْ عِنْوَانِ هَذِهِ الْمُبَاحَثَةِ الْعَرِيزِ أَنَّهَا مُتَرَدِّدَةٌ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَقْطَابٍ مُؤَسَّسَةٍ، أَمَّا أَوَّلُهَا فَتَلَمَّسُ ظَاهِرَةَ الْمُشْتَرَكِ الصَّرْفِيِّ، وَأَمَّا ثَانِيهَا فَتَعْيِينُ مِضْمَارِ التَّلَمَّسِ عَلَى وَجْهِ الْإِحْكَامِ، وَهُوَ التَّنْزِيلُ الْعَزِيزُ، وَأَمَّا ثَالِثُهَا فَمَنْحَى هَذِهِ الْمُبَاحَثَةَ وَوَجْهَتُهَا؛ ذَلِكَ أَنَّ الْبَاحِثَ يَقِيءُ إِلَى الْأَنْظَارِ الْوَصْفِيَّةِ فِي اسْتِشْرَافِهِ لِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ فِي التَّنْزِيلِ، وَالْأَنْظَارِ التَّحْلِيلِيَّةِ فِي بَيَانِ مَوَاضِعِهَا وَبَوَاعِثِهَا، وَالْأَنْظَارِ الدَّلَالِيَّةِ عِنْدَ تَعْيِينِ الْمَعَانِي الَّتِي تَقَعُ تَحْتَ كُلِّ مُشْتَرَكٍ صَّرْفِيٍّ يَرِدُ عَلَيْهِ، وَمِنْ أَظْهَرَ مَا سَيَعْرِجُ عَلَيْهِ الْبَاحِثُ فِي هَذِهِ الْمُبَاحَثَةِ مِنْ مَوَاضِعِ الْمُشْتَرَكِ الصَّرْفِيِّ وَبَوَاعِثِهِ تَنَاوُبُ الصَّيْغِ وَاسْتِرْكَائِهَا أَوَّلًا، وَتَعَدُّدُ مَعَانِي صَيْغِ الْأَفْعَالِ ثَانِيًا، وَاخْتِلَافُ أَصْلِ الْكَلِمَةِ الْأَشْتِقَاقِيَّةِ ثَالِثًا، وَسُهْمَةُ الْعَوَارِضِ التَّصْرِيفِيَّةِ فِي تَخْلُقِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ رَابِعًا؛ كَالِإِعْلَالِ، وَالِإِبْدَالِ، وَالْحَذْفِ، وَالْجَمْعِ، وَتَعَدُّدِ

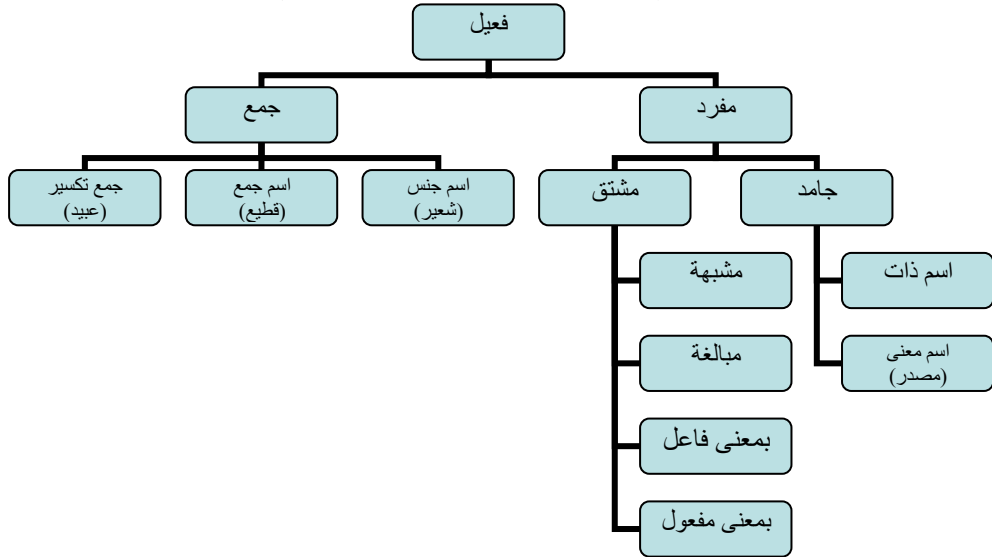
معاني بعض السوابق واللواحق التصريفية خامساً، وموجّهات كُليّة تُنبئني على المُثلِ الجُزئية سادساً.

تناوب الصيغ واشتراكها

هذا موضع من المواضع المُرشحة لِتخلُق هذه الظاهرة؛ ظاهرة المُشتركِ الصّرفيّ في العربيّة، ولعلّه من أكثر المواضع تجلّيًا، والحقّ أنّه بابٌ عريضٌ؛ ذلك أنّ كثيرًا من صيغ العربيّة يقوم بعضها مقام بعض، فيُنضّي ذلك إلى تناوبها من جهة، وإلى تجلّي هذه الظاهرة من جهة أخرى، وقد وقع ذلك في التّنزيل العزيز، وليس الباحث بمبالغ لو قال إنّ صيغةً واحدةً من الصيغ التي سيأتي عليها بيانٌ بعدًا مُحتاجةً إلى مُباحثةٍ قائمةٍ برأسها. ومن أمثلة تجلّيها في التّنزيل العزيز:

أولاً: صيغةُ "فَعِيل"

صيغةٌ يقع تحتها معانٍ صرفيّةٌ مُتباينةٌ، ولعلّ في الرّسم الشّجريّ المُتّبتِ فضلٌ بيانٍ:

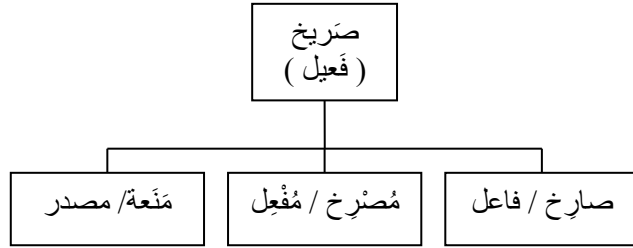


وقد تبأين وجه القول على دلالات "فَعِيل" الصّرفيّة في التّنزيل العزيز، ومن أمثلة ذلك: "ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا"⁽⁵⁾، فقد احتملت دلالة صيغة "فَعِيل" التي أودعت فيها الكلمة "نَفِير" ثلاثة معانٍ صرفيّة: أولها أنّه "فَعِيل" بِمعنى "فاعل": نَفِيرٌ وَنَافِرٌ، مثل قَدِيرٌ وَقَادِرٌ، والمعنى: أَكْثَرَ نَافِرًا، أَي: مَنْ يَنْفِرُ مَعَكُمْ، وَثَانِيهَا: أَنَّهُ جَمْعُ نَفَرٍ؛ "كَالْكَلْبِ" جَمْعُ "كَلْبٍ"، وَالْمَعْنَى: وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمُ الْجَمَاعَةُ الصَّائِرُونَ إِلَى اللَّهِ، وَثَالِثُهَا أَنَّهُ مُصَدَّرٌ، وَالْمَعْنَى: أَكْثَرَ خُرُوجًا إِلَى الْعَرَبِ، وَقَدْ أُلْمِحَ إِلَى هَذِهِ الْمَعَانِي مُجْتَمِعَةً أَبُو حَيَّانَ وَالسَّمِينُ⁽⁶⁾، وَالظَّاهِرُ، بَعْدَ هَذَا الْعَرَضِ، أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ فِي صِيغَتِهَا الَّتِي تَجَلَّتْ عَلَيْهَا مُتَرَدِّدَةً بَيْنَ الْمَصْدَرِيَّةِ وَالْإِسْمِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ، وَالْإِفْرَادِ وَالْجَمْعِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَأَنَّ ثَلَاثَةَ مَعَانٍ صَرْفِيَّةٍ تَجْتَمِعُ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ هُوَ "فَعِيل".

وَكَمَا احْتَمَلَتْ صَيْغَةُ "فَعِيل" ثَلَاثَةَ مَعَانٍ فِيمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فَقَدْ احْتَمَلَتْ كَذَلِكَ ثَلَاثَةً فِي قَوْلِ الْحَقِّ: "وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ"⁽⁷⁾، فَصَيْغَةُ "كَظِيمٌ" بِمَعْنَى:

- اسمِ الْفَاعِلِ، وَالْمَعْنَى: كَاطِمٌ، وَهُوَ الْمُشْتَمَلُ عَلَى حُزْنِهِ، وَشَاهِدُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: فَإِنْ أَكُّ كَاطِمًا لِمُصَابِ شَاسٍ فَإِنِّي الْيَوْمَ مُنْطَلِقٌ لِسَانِي⁽⁸⁾.
- وَاسْمِ الْمَفْعُولِ: وَالْمَعْنَى: مَكْظُومٌ مَمْلُوءٌ مِنَ الْحُزَنِ، مُمَسِّكٌ عَلَيْهِ لَا يُبَيِّتُهُ، وَمِنْهُ كَظُمَ الْغَيْظُ، وَهُوَ إِخْفَاؤُهُ؛ فَالْمَكْظُومُ الْمَسْدُودُ عَلَيْهِ طَرِيقَ حُزْنِهِ، فَهُوَ كَظِيمٌ، وَمِمَّا يُصَدِّقُ هَذَا الْمَعْنَى وَيَعْضُدُهُ قَوْلُ اللَّهِ -تَعَالَى-: "إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ"⁽⁹⁾، أَي: مَمْلُوءٌ كَرِيًّا⁽¹⁰⁾.

- وَصَيْغَةُ الْمُبَالَغَةِ، وَقَدْ نَقَتِ إِلَى الْمَعْنِيَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ الطَّبْرِيُّ وَالْقُرْطُبِيُّ⁽¹¹⁾.
وَفِي مِثَالٍ ثَالِثٍ احْتَمَلَتْ فِيهِ ثَلَاثَةَ مَعَانٍ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَقِّ: "وَإِنْ نَسَأُ نُعْرِفُهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ"⁽¹²⁾، فَقَدْ كَانَ الْمُتَعَيَّنُ مِنْ "صَرِيخٍ" أَنَّهَا بِمَعْنَى "فَاعِلٍ: صَارَخَ"، أَوْ اسْمٍ بِمَعْنَى "مُفْعَلٍ"، وَالْمَعْنَى: لَا مُغِيثَ لَهُمْ، أَوْ أَنَّهَا مَصْدَرٌ، وَالْمَعْنَى: فَلَا مَنَعَةَ لَهُمْ، وَقَدْ التَّمَسَّ الْقُرْطُبِيُّ مَلَمَحًا جَامِعًا بَيْنَ الدَّلَالَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ، فَقَالَ: "وَمَعْنَاهُمَا مُتَقَارِبَانِ"⁽¹³⁾:



وَمِنْ أَمْثَلَةٍ تَرَدَّدَتْ بَيْنَ مَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ وَالْمَصْدَرِيَّةِ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: "إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ"⁽¹⁴⁾، فَالْنَسِيءُ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: نَسَأَ اللَّهُ فِي أَجْلِكَ، أَي: زَادَ اللَّهُ فِي أَيَّامِ عُمْرِكَ، وَأَحْرَّ أَجْلَكَ، وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَنَّ النَّسِيءَ "فَعِيلٌ" صُرِفَ إِلَيْهِ مِنْ مَفْعُولٍ، كَمَا نَقُولُ: "لَعِينٌ"، وَ"قَتِيلٌ"، وَ"نَسِيءٌ"، بِمَعْنَى: "مَلْعُونٌ" وَ"مَقْتُولٌ" وَ"مَنْسُوءٌ"، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَعْنَاهُ: إِنَّمَا الشَّهْرُ الْمُؤَخَّرُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ، وَقَدْ رَجَّحَ الطَّبْرِيُّ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ، وَكَأَنَّهُ أَشْبَهُ بِمَعْنَى الْكَلَامِ، "وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: إِنَّمَا التَّأخِيرُ الَّذِي يُؤَخَّرُهُ أَهْلُ الشَّرْكِ بِاللَّهِ مِنْ شُهُورِ الْحَرَمِ الْأَرْبَعَةِ، وَتَصْيِيرُهُمُ الْحَرَامَ مِنْهُنَّ حَلَالًا، وَالْحَلَالَ مِنْهُنَّ حَرَامًا"⁽¹⁵⁾.

وَمِنْ أَمْثَلَةٍ تَرَدَّدَتْ "فَعِيلٌ" بَيْنَ الْمَصْدَرِيَّةِ وَالْإِسْمِيَّةِ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: "فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا"⁽¹⁶⁾، وَلَيْسَ يَخْفَى أَنَّ "نَجِيًّا" عَلَى مِثَالِ "فَعِيلٍ"، وَأَنَّهَا احْتَمَلَتْ الْمَعْنِيَيْنِ: الْمَصْدَرِيَّةَ وَالْإِسْمِيَّةَ، أَمَا عَلَى الْمَصْدَرِيَّةِ فَالْمَعْنَى أَنَّ النَّجِيَّ جَمَاعَةٌ الْقَوْمِ الْمُنتَجِبِينَ، يُسَمَّى بِهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمَاعَةُ، كَمَا يُقَالُ: رَجُلٌ عَدْلٌ، وَرِجَالٌ عَدْلٌ، وَقَوْمٌ زَوْرٌ، وَفِطْرٌ، "وَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ:

تَجَوُّتُ فُلَانًا، أُنْجُوهُ نَجِيًّا، جُعِلَ صِفَةً وَنَعْتًا⁽¹⁷⁾، وقد اُكْتُفِيَ الطَّبْرِيُّ وابْنُ الأَنْبَارِيِّ بِدِلَالَتِهَا عَلَى المَصْدَرِيَّةِ⁽¹⁸⁾. أَمَا عَلَى الأَسْمِيَّةِ فَالنَّجِيُّ "فَعِيلٌ" بِمَعْنَى المُنَاجِي، وَقَدْ نَقَّتْ إِلَى الوَجْهِينِ المُحْتَمَلِينَ أَبُو حَيَّانَ، وَالسَّمِينُ.

وَمِنْ مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ قَوْلُ الحَقِّ -تَبَارَكَ-: "لِيَكُونَ لِلعَالَمِينَ نَذِيرًا"⁽¹⁹⁾، فَقَدْ كَانَتْ صَيغَةُ "نَذِيرًا" الصَّرْفِيَّةُ حَمَالَةً لِلْمَعْنِيِّينَ مُجْتَمِعِينَ، وَهُمَا: الأِسْمُ، وَالمَعْنَى: لِيَكُونَ لِلعَالَمِينَ مُنْذِرًا، وَثَانِيَهُمَا المَصْدَرُ، وَالمَعْنَى الإِنْذَارُ، كَالنَّكِيرِ، وَالصَّهِيلِ⁽²⁰⁾.

صَيغَتَا "مَفْعَلٌ وَمَفْعِلٌ":

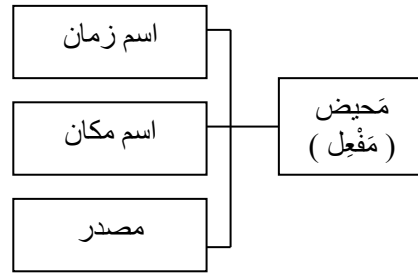
وَهُمَا صَيغَتَانِ تَلْتَقِي عَالِيَهُمَا مَعَانٍ صَرْفِيَّةً مُتَبَايِنَةً؛ ذَلِكَ أَنَّهُمَا قَدْ تَكُونَانِ اسْمَ زَمَانٍ، أَوْ اسْمَ مَكَانٍ، أَوْ مَصْدَرًا مِيمِيًّا، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ كُلُّهُ حَتَّى مَعَ تَوَافُرِ سِيَاقِ جُمْلِيٍّ شَرِيفٍ فِي التَّنْزِيلِ العَزِيزِ، فَأَفْضَى إِلَى تَرَدُّدِ اللُّغَوِيِّينَ وَالمُفَسِّرِينَ بَيْنَ هَذِهِ المَعَانِي الَّتِي يَتَقَبَّلُهَا السِّيَاقُ فَلَا تَتَدَاغُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الحَقِّ -تَبَارَكَ-: "وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللّٰهِ مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا"⁽²¹⁾، أَمَا عَلَى المَصْدَرِ فَهِيَ مِنْ: جَرَتْ تَجْرِي جَرِيًّا وَمَجْرَى، وَرَسَتْ رُسُوءًا وَمَرْسَى، وَالمَعْنَى، كَمَا يُقْرَأُ الطَّبْرِيُّ: بِسْمِ اللّٰهِ إِجْرَاؤُهَا وَإِرْسَاؤُهَا⁽²²⁾، وَأَمَا عَلَى الأِسْمِ فَالمَعْنَى: بِسْمِ اللّٰهِ وَقَتَّ إِجْرَائِهَا، وَرُسُوءُهَا" وَمَكَانَهُمَا، أَوْ: ارْكَبُوا فِيهَا مُسَمَّيْنَ مَوْضِعَ جَرِيَانِهَا وَرُسُوءِهَا، أَوْ وَقْتَهُمَا، وَلَعَلَّ الَّذِي يَظْهَرُ، بَعْدَ هَذَا العَرَضِ الدَّالِّ بِالإِقْتِصَابِ، أَنَّ هَذِهِ الصَّيغَةَ فِي سِيَاقِهَا كَانَتْ حَمَالَةً لِلْمَعَانِي الثَّلَاثَةِ: اسْمِ الزَّمَانِ، وَالمَكَانِ، وَالمَصْدَرِ⁽²³⁾.

وَمِنْ مِثْلِ تَرَدُّدِ صَيغَةِ "مَفْعَلٌ" بَيْنَ المَصْدَرِ وَاسْمِ المَكَانِ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: "ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ"⁽²⁴⁾، فَقَدْ تَرَدَّدَتْ صَيغَةُ "مَفْعَلٌ" مَقَامٌ" بَيْنَ مَعْنِيَيْنِ: وَهُمَا المَصْدَرُ، وَاسْمُ المَكَانِ، وَإِلَى الأَوَّلِ جَنَحَ الفَرَاءُ مُقَرَّرًا أَنَّهُ مَصْدَرٌ أُضِيفَ إِلَى الفَاعِلِ، وَالمَعْنَى: قِيَامَهُ بَيْنَ يَدَيَّ⁽²⁵⁾، وَقِيلَ: قِيَامِي عَلَيْهِ بِالحَفْظِ لِأَعْمَالِهِ، وَمُرَاقَبَتِي إِيَّاهُ، وَإِلَى الثَّانِي جَنَحَ الرَّجَّاجُ مُقَرَّرًا أَنَّ المَعْنَى هُوَ مَكَانٌ وَقُوفِهِ بَيْنَ يَدَيِ الحِسَابِ، وَهُوَ مَوْقِفُ اللّٰهِ الَّذِي يَقِفُ فِيهِ عِبَادُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَإِلَى المَعْنِيِّينَ مُجْتَمِعِينَ ذَهَبَ أَبُو حَيَّانَ وَالسَّمِينُ⁽²⁶⁾.

وَمِنْ تَرَدُّدِ هَذِهِ الصَّيغَةِ بَيْنَ مَعْنَى المَصْدَرِ وَاسْمِ المَكَانِ قَوْلُ الحَقِّ: "وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللّٰهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ"⁽²⁷⁾، فَالمَأْمَنُ هُوَ المَصْدَرُ، وَالمَعْنَى: ثُمَّ أَبْلِغْهُ أَمْنَهُ، وَهُوَ فِي الوَقْتِ نَفْسَهُ اسْمُ مَكَانٍ، وَالمَعْنَى: أَبْلِغْهُ مَكَانَ أَمْنِهِ⁽²⁸⁾.

أَمَا صَيغَةُ "مَفْعِلٌ" فَمِنْ أَمْثَلَةٍ وَقُوعِهَا مُشْتَرَكًا صَرْفِيًّا فِي التَّنْزِيلِ العَزِيزِ قَوْلُ الحَقِّ -تَعَالَى-: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاغْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ"⁽²⁹⁾، وَمَوْضِعُ التَّمَثُّلِ فِي هَذَا السِّيَاقِ الشَّرِيفِ كَلِمَةُ "المَحِيضِ"؛ ذَلِكَ أَنَّهَا أُودِعَتْ فِي قَالِبِ تَصْرِيفِيٍّ حَمَالٍ لِثَلَاثَةِ مَعَانٍ، أَوَّلُهَا: المَصْدَرُ، فَيُقَالُ: حَاصَتِ المَرْأَةُ حَيْضًا وَمَحَاضًا وَمَحِيضًا، وَالمَعْنَى: فَاعْتَرَلُوا وَطَاءَ النِّسَاءِ فِي الحَيْضِ، وَثَانِيهَا أَنَّ المَحِيضَ هُوَ الزَّمَانُ، وَالمَعْنَى: فَاعْتَرَلُوا وَطَاءَ النِّسَاءِ

في زَمَانِ الْحَيْضِ، وثالثها أَنَّهُ الْمَكَانُ، والمعنى الذي يُحْمَلُ على هذا التَّقْدِيرِ: فَاعْتَرَلُوا وَطَةَ النِّسَاءِ فِي مَكَانِ الْحَيْضِ، وَقَدْ اِكْتَفَى الزَّمْخَشَرِيُّ بِالْأَوَّلِ، وَبِهِ فَسَّرَ قَوْلَ اللَّهِ -تَعَالَى- مُتَمَثِّلًا قَوْلَنَا: حَاضَتْ مَحِيضًا، وَجَاءَ مَجِيئًا، وَبَاتَ مَبِينًا⁽³⁰⁾، أَمَا الْعَكْبَرِيُّ وَأَبُو حَيَّانَ وَالسَّمِينُ فَقَدْ جَمَعُوا هَذِهِ الدَّلَالَاتِ مَعًا⁽³¹⁾، وَلَعَلَّ الْمَلَمَحَ الْمُعْجَبَ الَّذِي يُثِيرُ فِي النَّفْسِ اسْتِحْسَانًا مُفْضِيًا إِلَى الْقَوْلِ: "وَمَا هُوَ يَقُولُ بَشْرًا" أَنَّ هَذِهِ الصِّيغَةَ "مَفْعِلٌ" فِي سِيَاقِهَا ذَلِكَ حَمَلَتْ ثَلَاثَةَ مَعَانٍ مَعًا، وَكَانَ الْمَقْصِدُ الْاِعْتِرَالَ الْكُلِّيَّ فِي زَمَانِ الْحَيْضِ، وَمَكَانِهِ، وَحَدِيثِهِ، تَحْرِيمًا وَتَشْرِيْعًا، وَلِذَا أُزْدِفَ الْحَقُّ -جَلَّ فِي عِلَاهِ- تَشْرِيْعَهُ وَتَحْرِيمَهُ بِقَوْلِهِ: "وَاللَّهُ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ"⁽³²⁾:



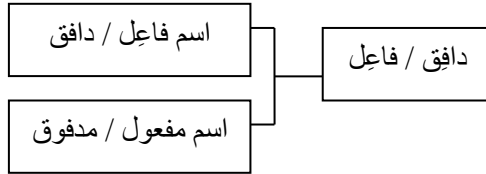
وَلَيْسَ يَذْهَبُ بِالْقَارِي الطَّنُّ أَنَّ صِيغَتِي "مَفْعِلٌ" وَ"مَفْعَلٌ" أَيْنَمَا وَرَدَتَا كَانَتَا حَمَلَتَيْنِ مُشْتَرِكَتَيْنِ، فَقَدْ يَكُونُ الْأَمْرُ بِالضَّدِّ؛ ذَلِكَ أَنَّ السِّيَاقَ قَدْ يَرْفَعُ هَذَا الْاِشْتِرَاكَ، فَيُقَرَّرُ، أَوْ يُرَجَّحُ مَعْنَى وَاحِدًا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْحَقِّ: "وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۗ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ"⁽³³⁾، فَقَدْ اِحْتَمَلَتْ هَذِهِ الصِّيغَةُ الْمَعْنَيْنِ، وَهِيَ الْمَكَانُ بَعْدَ انْفِجَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ عَيْنًا، وَالْمَصْدَرُ، أَيْ الشُّرْبُ، وَحُمِلَ عَلَى الْمَشْرُوبِ، وَهُوَ الْمَاءُ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى وَأَلْيَقُ بِسِيَاقِ الْكَلَامِ وَالْمَعْنَى، فَالْحَدِيثُ عَنِ عُيُونِ مَاءِ انْفِجَرَتْ، وَقَدْ تَخَصَّصَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ اُنَاسٌ، فَعَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ أَبُو حَيَّانَ وَالسَّمِينُ، "لَأَنَّ دِلَالَتَهُ عَلَى الْمَكَانِ بِالْوَضْعِ، وَدِلَالَتَهُ عَلَى الْمَاءِ بِالْمَجَازِ، وَهُوَ تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ مَكَانِهِ"⁽³⁴⁾.

وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: "إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ"⁽³⁵⁾، فَالْأَرْجَحُ، كَمَا يَظْهَرُ مِنْ سِيَاقِ الْآيَةِ الشَّرِيفِ أَنَّ صِيغَةَ "مَوْعِدَهُمْ" دَالَّةٌ هَهُنَا عَلَى اسْمِ الزَّمَانِ، وَالَّذِي يُرْشِّحُ هَذَا الْمَعْنَى وَيَعِضُدُهُ قَوْلُ الْحَقِّ: "الصُّبْحُ"، وَكَذَلِكَ: "أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ"، وَالْمَعْنَى الْكُلِّيُّ: مَوْعِدُ هَلَاكِهِمْ⁽³⁶⁾.

صِيغَةُ "فَاعِلٍ":

صِيغَةُ "فَاعِلٍ" حَمَالَةٌ لِمَعَانٍ صَرْفِيَّةٍ مُتَّوَعَةٍ؛ كَاسْمِ الْفَاعِلِ، وَاسْمِ الْمَفْعُولِ، وَقَدْ تَحْتَمِلُ الْمَعْنَيْنِ مَعًا، وَقَدْ تَأْتِي بِمَعْنَى الصِّفَةِ الْمُشَبَّهَةِ، وَقَدْ اِحْتَمَلَتْ هَذِهِ الْمَعَانِي الصَّرْفِيَّةَ الثَّلَاثَةَ فِي قَوْلِ الْحَقِّ -جَلَّ فِي عِلَاهِ-: "خُلِقَ مِنْ مَاءٍ ذَافِقٍ"⁽³⁷⁾، فَقَدْ تَرَدَّدَ مُفَسِّرُونَ بَيْنَ عَدِّهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ مَعْنَى وَمَبْنَى، وَعَدِّهَا اسْمَ مَفْعُولٍ جَاءَ فِي حُلَّةِ اسْمِ الْفَاعِلِ، وَالْمَعْنَى: مَدْفُوقٌ، كَمَا قَالُوا:

سِرُّ كَاتِمٍ: أَي مَكْتُومٍ؛ لِأَنَّهُ مِنْ قَوْلِكَ: دُفِقَ الْمَاءُ، عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَعَدَّهَا عَلَى النَّسَبِ، وَالْمَعْنَى: ذُو دَفْقٍ أَوْ انْدِفَاقٍ، كَمَا قِيلَ: دَارِعٌ، وَفَارِسٌ، وَنَابِلٌ؛ أَي ذُو فَرَسٍ، وَدِرْعٌ، وَنَبْلٌ⁽³⁸⁾، وَقَدْ التَّمَسَ ابْنُ عَطِيَّةٍ تَفْسِيرًا لِتَرَدِّدِ هَذِهِ الصِّيغَةِ بَيْنَ مَعْنَيِي اسْمِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ مُعَوَّلًا عَلَى مَنْطِقِ الْحَيَاةِ وَالْأَنْظَارِ الْخَارِجِيَّةِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ يَصْحُحُ أَنْ يَكُونَ الْمَاءُ دَافِقًا؛ لِأَنَّ بَعْضَهُ يَدْفُقُ بَعْضًا، أَي يَدْفَعُهُ، فَمِنْهُ دَافِقٌ، وَمِنْهُ مَدْفُوقٌ⁽³⁹⁾:



وَمِنْ أَمْثَلَةٍ تَرَدَّدَ صِيغَةُ "فَاعِلٍ" بَيْنَ مَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ وَالنَّسَبِ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: "أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ"⁽⁴⁰⁾، فَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ مُؤَمَّنٌ، أَي يُؤَمَّنُ مَنْ دَخَلَهُ، وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى: حَرَمًا ذَا آمْنٍ⁽⁴¹⁾.

وَمِنْ أَمْثَلَةٍ اِحْتِمَالِ صِيغَةِ "فَاعِلٍ" مَعْنَيِي اسْمِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الْحَقِّ: { لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ }⁽⁴²⁾، فَالصِّيغَةُ "عَاصِمٌ" اسْمُ فَاعِلٍ، وَقَدْ جَاءَتْ مُتَرَدِّدَةً بَيْنَ اسْمِ الْفَاعِلِ الَّذِي جَاءَتْ عَلَيْهِ، وَاسْمِ الْمَفْعُولِ الَّذِي جَاءَ فِي صِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ، فَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى: "عَاصِمٌ: فَاعِلٌ"، أَي: لَا مَانِعَ وَلَا أَحَدَ يَعَصِمُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى الَّذِي يَكْتَنِفُ هَذِهِ الصِّيغَةَ "مَعْصُومٌ: مَفْعُولٌ"، وَالْمُرَادُ: لَا مَعْصُومَ الْيَوْمَ، وَكِلَاهُمَا مُتَقَبَّلٌ⁽⁴³⁾.

صِيغَةُ "مَفْعُولٌ":

إِنَّهَا صِيغَةٌ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْحَدُثُ، وَلَكِنَّهَا قَدْ تَنَاطَوُبُ مَعَ غَيْرِهَا مِنْ صِيغِ الْعَرَبِيَّةِ، فَيَبْقَى لَهَا الشَّكْلُ نَفْسُهُ، وَتَحْمِلُ دِلَالَةً أُخْرَى غَيْرَ الَّتِي رَانَ عَلَيْهَا الْفُنَاءُ، فَقَدْ تَقَوُّمَ مَقَامَ الْمَصْدَرِ؛ كَالْمَفْتُورِ وَالْمَعْقُولِ وَالْمَجْلُودِ⁽⁴⁴⁾، وَقَدْ تَقَوُّمَ مَقَامَ اسْمِ الْفَاعِلِ، وَقَدْ تَحْتَمَلُ الدَّلَالَتَيْنِ مَعًا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: { حِجَابًا مَسْتَوْرًا }⁽⁴⁵⁾، فَقَدْ وَقَعَ تَحْتَ صِيغَةِ "مَفْعُولٌ" مَعْنَيَانِ، وَهُمَا اسْمُ الْفَاعِلِ، وَالْمَعْنَى سَاتِرٌ⁽⁴⁶⁾، أَوْ أَنَّ الْحِجَابَ سَاتِرٌ عَنْكُمْ مَا وَرَاءَهُ⁽⁴⁷⁾. وَاسْمُ الْمَفْعُولِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْحِجَابَ مَسْتَوْرٌ عَنْكُمْ لَا تَرَوْنَهُ، وَقَدْ اسْتَشْرَفَ الطَّبْرِيُّ الْوَجْهَيْنِ الدَّلَالَتَيْنِ مُرَجِّحًا الثَّانِي، مُلْمَحًا إِلَى سُهْمَةِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ -وَأِنْ لَمْ يُسَمَّهَا- فِي تَخْلُقِ تَعَدُّدِ الْمَعَانِي، وَتَبَايُنِ وُجُوهِ الْقَوْلِ، مُصْرِّحًا بِأَنَّ بَعْضَ نَحْوِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ كَانَ يَقُولُ: "مَعْنَى قَوْلِهِ "حِجَابًا مَسْتَوْرًا": حِجَابًا سَاتِرًا، وَلَكِنَّهُ أُخْرِجَ وَهُوَ فَاعِلٌ فِي لَفْظِ الْمَفْعُولِ، كَمَا يُقَالُ: إِنَّكَ مَشْوُومٌ عَلَيْنَا وَمَيْمُونٌ، وَإِنَّمَا هُوَ سَائِمٌ وَيَامِنٌ، لِأَنَّهُ مِنْ شَأْمِهِمْ وَيَمْنُهُمْ. قَالَ: وَالْحِجَابُ هَهُنَا: هُوَ السَّاتِرُ، وَقَالَ: مَسْتَوْرًا. وَكَانَ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَقُولُ: مَعْنَى ذَلِكَ: حِجَابًا مَسْتَوْرًا عَنِ الْعِبَادِ فَلَا يَرَوْنَهُ، وَهَذَا

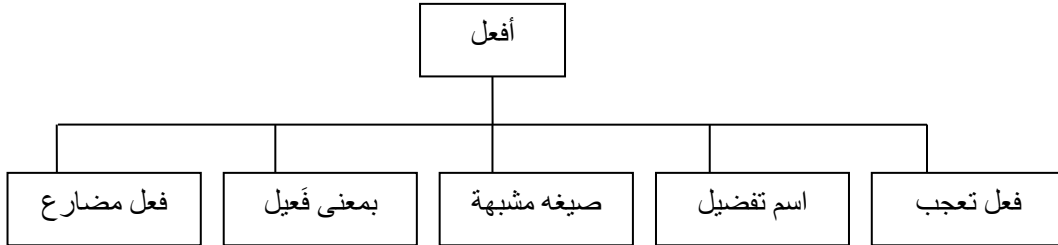
الْقَوْلِ الثَّانِي أَظْهَرَ بِمَعْنَى الْكَلَامِ أَنَّ يَكُونَ الْمَسْتَوْرُ هُوَ الْحِجَابُ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: أَنَّ لِلَّهِ سِتْرًا عَنِ أَبْصَارِ النَّاسِ فَلَا تُدْرِكُهُ أَبْصَارُهُمْ، وَإِنْ كَانَ لِلْقَوْلِ الْأَوَّلِ وَجْهٌ مَفْهُومٌ⁽⁴⁸⁾.

وَمِثْلُهَا قَوْلُ الْحَقِّ: "فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا"⁽⁴⁹⁾، فَقَدْ تَبَايَنَ وَجْهُ الْقَوْلِ عَلَى دِلَالَةِ "مَسْحُورًا" الصَّرْفِيَّةِ كَمَا تَبَايَنَ فِي "مَسْتَوْرًا"، وَقَدْ التَفَّتْ كَثِيرٌ مِمَّنْ وَرَدُوا عَلَيْهَا شَارِحِينَ، وَمُفَسِّرِينَ إِلَى الْمَعْنِيِّينَ، فَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِهِ: إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى سَاحِرًا، "فَوْضِعَ" مَفْعُولٌ "مَوْضِعَ" فَاعِلٌ، كَمَا قِيلَ: إِنَّكَ مَشْهُومٌ عَلَيْنَا وَمَيْمُونٌ،...، وَقَدْ تَأَوَّلَ بَعْضُهُمْ: "حِجَابًا مَسْتَوْرًا" بِمَعْنَى: حِجَابًا سَاتِرًا، وَالْعَرَبُ قَدْ تُخْرِجُ فَاعِلًا بِلَفْظِ مَفْعُولٍ كَثِيرًا⁽⁵⁰⁾.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: {إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا}⁽⁵¹⁾، وَقَدْ تَبَايَنَ الْقَوْلُ عَلَى مَعْنَى هَذِهِ الصِّيغَةِ "مَأْتِيًّا"، وَلَا يَخْفَى أَنَّهَا اسْمٌ مَفْعُولٌ اِكْتَنَفَهُ إِغْلَالٌ، فَصَارَ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ، فَقِيلَ إِنَّ الْمَعْنَى هُوَ: إِنَّ وَعْدَهُ كَانَ آتِيًّا، وَهُوَ وَجْهٌ صَالِحٌ لَا يُدْفَعُ⁽⁵²⁾، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْوَعْدَ هُوَ الْجَنَّةُ، وَهُمْ يَأْتُونَهَا، وَقَدْ خَطَأَ الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ قَوْلَ مَنْ عَدَّهُ اسْمَ فَاعِلٍ "آتِيًّا"، وَالْمَعْنَى عِنْدَهُ أَنَّهُ مَفْعُولٌ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَسْنُدُ تَخَطُّتَهُ⁽⁵³⁾.

صِيغَةُ "أَفْعَلُ":

"أَفْعَلُ" صِيغَةٌ حَمَالَةٌ لِمَعَانٍ صَرْفِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ⁽⁵⁴⁾، مِنْهَا أَنْ تَكُونَ لِلْمُفَاصَلَةِ، أَوْ نَعْنًا قَائِمًا فِي الْمَنْعُوتِ (صِفَةٌ مَشَبَّهَةٌ)، كَقَوْلِنَا: أَحْمَرُ، وَأَصْفَرُ، وَأَحْمَقُ، وَقَدْ تَقَوْمُ مَقَامَ "فَعِيلٍ"؛ وَذَلِكَ نَحْوُ "أَصْغِرْكُمْ وَأَكْبِرْكُمْ"، وَالْمَعْنَى الْمُتَعَيَّنُ: صَغِيرِكُمْ وَكَبِيرِكُمْ⁽⁵⁵⁾ وَتَأْتِي فِعْلًا مُضَارِعًا، وَتَأْتِي لِلتَّعَجُّبِ:



وَقَدْ تَجَلَّى هَذَا التَّعَدُّدُ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، فَتَرَدَّدَ اللَّغَوِيُّونَ وَالْمُفَسِّرُونَ بَيْنَ الْمَعَانِي الَّتِي تَكْتَنِفُهَا هَذِهِ الصِّيغَةُ مُعْوَلِينَ عَلَى السِّيَاقِ، وَمِنْ أَمْثَلِهَا تَرَدُّدُهَا بَيْنَ الْفِعْلِيَّةِ وَالْإِسْمِيَّةِ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: "ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا"⁽⁵⁶⁾، فَقَدْ تَبَايَنَ وَجْهُ الْقَوْلِ عَلَيْهَا كَثِيرًا فِي التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، فَمِنْهُمْ مَنْ جَنَحَ إِلَى عَدِّهَا فِعْلًا مَاضِيًّا، وَعَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ عُدَّتْ "مَا" مَصْدَرِيَّةً، وَ"أَمَدًا" مَفْعُولًا بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَنَحَ إِلَى عَدِّهَا "أَفْعَلُ" تَفْضِيلًا، وَ"أَمَدًا" تَمْيِيزًا⁽⁵⁷⁾، وَحُجَّتُهُمْ فِي هَذَا أَنَّ "أَحْصَى" إِذَا كَانَ لِلْمَبَالِغَةِ كَانَ بِنَاءً مِنْ غَيْرِ الثَّلَاثِيَّ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّ "مَا" أَعْطَاهُ!، وَ"مَا أَوْلَاهُ لِلْمَعْرُوفِ!، وَ"أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ" شَادُّ لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ⁽⁵⁸⁾. وَالظَّاهِرُ بَعْدَ هَذَا الْعَرَضِ أَنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ؛ ظَاهِرَةَ الْمُشْتَرَكِ الصَّرْفِيِّ أَفْضَتْ إِلَى تَرَدُّدِ اللَّغَوِيِّينَ وَالْمُفَسِّرِينَ بَيْنَ الْمَعَانِي الْوَاقِعَةِ تَحْتَهَا، فَمِنْهُمْ مَنْ أَجَازَ وَجْهًا، وَمِنْهُمْ مَنْ أَجَازَ وَجْهًا ثَانِيًا آخَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَمَعَ

بَيْنَ الْوَجْهَيْنِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، وَصَفْوَةُ الْمُسْتَخْلَصِ أَيْضًا أَنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ أَفْضَتْ إِلَى تَعَدُّدِ الْوُجُوهِ التَّحْوِيَّةِ، فَلِلْبِنِيَّةِ الصَّرْفِيَّةِ سُهْمَةً ظَاهِرَةً فِي تَوْجِيهِ الْمَعَانِي التَّحْوِيَّةِ، وَتَقْدِيمِ مَعْنَى عَلَى مَعْنَى، وَلَعَلَّ مَا تَقَدَّمَ يُجَلِّي ذَلِكَ وَيَعُضِّدُهُ.

وَمِنْ أَمْثَلَةٍ تَرَدَّدَ "أَفْعَلٌ" بَيْنَ كَوْنِهِ اسْمَ تَفْضِيلٍ وَصِفَةً مُشَبَّهَةً قَوْلِ الْحَقِّ:

- "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ"⁽⁵⁹⁾.

- "تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ"⁽⁶⁰⁾.

- "إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ"⁽⁶¹⁾.

أَمَّا الْآيَةُ الْأُولَى فَالظَّاهِرُ أَنَّ "أَقْوَمٌ" يَقَعُ تَحْتَهَا مَعْنَيَانِ، أَوْلَهُمَا: التَّفْضِيلُ، وَالْمَعْنَى: أَقْوَمٌ مِمَّا عَدَاهَا، أَوْ أَقْوَمُ الْحَالَاتِ، أَوْ أَقْوَمٌ مِنْ كُلِّ حَالٍ، وَثَانِيَهُمَا الصَّفَةُ الْمُشَبَّهَةُ، وَقَدْ رَجَّحَ أَبُو حَيَّانِ الثَّانِيَّ عَلَى التَّفْضِيلِ، مُعَوَّلًا عَلَى الْمَعْنَى، قَائِلًا: "وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى أَنَّ "أَقْوَمٌ" هُنَا لَا يُرَادُ بِهَا التَّفْضِيلُ؛ إِذْ لَا مُشَارَكَةَ بَيْنَ الطَّرِيقَةِ الَّتِي يُرْشِدُ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ، وَطَرِيقَةِ غَيْرِهَا عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى: الَّتِي هِيَ قَيِّمَةٌ، أَيْ: مُسْتَقِيمَةٌ، كَمَا قَالَ: "وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ"، وَ"فِيهَا كُتِبَ قَيِّمَةٌ"، أَيْ: مُسْتَقِيمَةُ الطَّرِيقَةِ"⁽⁶²⁾، أَمَّا الزَّمَخْشَرِيُّ فَلَمْ يُعَيِّنْ إِلَّا مَعْنَى وَاحِدًا، وَهُوَ التَّفْضِيلُ"⁽⁶³⁾.

صِيغَةُ "فَعُولٌ":

صِيغَةُ يَقَعُ تَحْتَهَا مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٌ مِنْهَا أَتَاهَا قَدْ تَكُونُ صِيغَةً تُفِيدُ الْمُبَالَغَةَ، وَالصَّفَةَ الْمُشَبَّهَةَ، وَقَدْ تَكُونُ بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ، وَاسْمِ الْمَفْعُولِ، وَقَدْ وَقَعَ هَذَا فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ فِي قَوْلِ الْحَقِّ: "وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ"⁽⁶⁴⁾، فَهِيَ مُحْتَمِلَةٌ لِمَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ⁽⁶⁵⁾، وَالْمَعْنَى: مَرْكُوبُهُمْ، كَالْحَلُوبِ بِمَعْنَى الْمَحْلُوبِ، وَلِمَعْنَى اسْمِ الْجَمْعِ، وَهِيَ عَلَى هَذَا الْمَحْمَلِ اسْمٌ مَفْرُودٌ لَا جَمْعٌ تَكْسِيرٍ⁽⁶⁶⁾.

وَمِنْ أَمْثَلَةٍ تَرَدَّدَ هَذِهِ الصِّيغَةُ بَيْنَ مَعْنَى الْمُبَالَغَةِ، وَاسْمِ الْفَاعِلِ، وَاسْمِ الْمَفْعُولِ، مَا جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: "إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ"⁽⁶⁷⁾، فَكَلِمَةُ "وَدُودٌ" يَقَعُ تَحْتَهَا ثَلَاثَةٌ مَعَانٍ صَرْفِيَّةٍ، أَوْلَاهَا: أَنَّهَا صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ، وَثَانِيَاهَا أَنَّهَا اسْمٌ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ، فَالْوَدُودُ هُوَ الْمُحِبُّ الَّذِي يُوَدُّ عِبَادَهُ وَيَرْحَمُهُمْ، وَثَالِثُهَا أَنَّهَا بِمَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ، وَالْمَعْنَى: الْمُحَبُّ الَّذِي يَحِبُّهُ عِبَادُهُ، وَيُوَادُّونَ أَوْلِيَاءَهُ"⁽⁶⁸⁾.

صِيغَةُ "مِفْعَالٌ":

وَهِيَ صِيغَةُ صَرْفِيَّةٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ مَعْنَى الْمُبَالَغَةِ كَمَا فِي قَوْلِنَا "مِغْطَارٌ"، وَالْمَكَانِ كَمَا فِي قَوْلِنَا: "مِضْمَارٌ"، وَالْآلَةِ كَمَا فِي قَوْلِنَا: "مِنْشَارٌ"، أَوْ عَلَى النَّسَبِ، وَقَدْ احْتَمَلَتْ ثَلَاثَ دِلَالَاتٍ فِي قَوْلِ الْحَقِّ: "إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا"⁽⁶⁹⁾، فَقِيلَ:

- "مِرْصَادًا": ذَاتُ أَرْصَادٍ عَلَى النَّسَبِ، أَيْ تَرْصُدُ مَنْ يَمُرُّ بِهَا.

- وَقِيلَ: هِيَ اسْمُ مَكَانٍ، وَالْمَعْنَى: مَخْبِئٌ، أَوْ طَرِيقٌ وَمَمَرٌ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ حَتَّى يَقْطَعَ جَهَنَّمَ، وَفِي الصَّحَاحِ: الْمِرْصَادُ: الطَّرِيقُ.

- وقيل: هي مبالغة، والمعنى أنها راصدةٌ تُجازيهم بأفعالهم، فكأنه - كما يقول القرطبي - يكثر من جهنم انتظار الكفار، وإلى هذه الوجوه الثلاثة ذهب أبو حيان والقرطبي، وقد جمع أبو حيان بين معنى النسب والمبالغة في دلالة واحدة، مُلمحاً إلى أن كل ما جاء من الأخبار والصفات على معنى النسب فيه التكثر واللزوم⁽⁷⁰⁾.
صيغة "فعل":

لنرجع النظر في دلالة "تبع" الصرفية في الآية: "فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا"⁽⁷¹⁾، ذلك أنها يصدق عليها تعريف المشترك الصرفي الحمال لمعان، فقد احتملت ثلاثة: أولها: أنها اسم جمع لتابع، كقولنا: خادم وخدم، وأدم، وأدم، وثانيهما أنها مصدر واقع موقع اسم الفاعل، والمعنى: تابعين، وثالثها: أنها بمعنى النسب، وهي على هذا المحمل مصدر أيضاً، ولكن على حذف مضاف، والمعنى: ذوي تبع⁽⁷²⁾، ولما ورد الطبري على تفسير هذه الآية أشار إلى أن التبع يكون واحداً وجماعةً في قول بعض نحوي البصرة، وفي قول بعض نحوي الكوفة جمع لا واحد له؛ لأنه كالمصدر، "وإن شئت كان واحداً تابعاً، فيكون مثل "خائل وخول"، و"غائب وغيب"، والصواب من القول في ذلك عندي أنه جمع واحد "تابع"، وقد يجوز أن يكون واحداً، فيكون جمعه "اتباع"⁽⁷³⁾، ولرأي الكوفيين، فيما إخاله، وجهٌ مُعجب، وهو عدّ "تبع" جمعاً لا واحد له كالمصدر؛ فلذلك لم يُجمع، ولو جمع لقال "اتباع".

صيغة "فعلان":

وذلك في قول الحق -تبارك-: "وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ"⁽⁷⁴⁾، وإذا كان في السياق الشريف السابق دلالة على أثر تباين وجه القول على البنية الصرفية في التوجيه النحوي فإن في هذا السياق دلالة على أثرها في تباين التوجيه المعجمي؛ إذ إن "الفرقان" صيغة على مثال "فعلان"، وهي تحتل الاسمية والمصدرية، والفرقان في أصله مصدر مثل الغفران⁽⁷⁵⁾، فإذا ما كانت اسماً فالمعنى أنها التوراة أو القرآن، والمعنى الكلي: آتاه جامعاً بين كونه كتاباً وفرقاً بين الحق والباطل، ويكون من عطف الصفات؛ لأن الكتاب في الحقيقة معناه المكتوب، وهذا مذهب للزجاج والزمخشري⁽⁷⁶⁾، وإذا ما كانت مصدراً فالمعنى أنها الحدث؛ أي: ما يفرق به بين الحق والباطل، أو قد يحتل الفرقان انفرق البحر⁽⁷⁷⁾، والحق أنه فرق دلالي دقيق يحتاج إلى مزيد من التدقيق والتبصر، وقد تباين المفسرون في تعيين دلالتها تبايناً باعته هذا الذي نحن فيه.

الصيغ المشتقة مما هو فوق ثلاثي بضم أولها وفتح ما قبل آخرها:

وتلقتي على هذه الصيغ المشتقة بالوصف المتقدم بيانه أنفاً معانٍ صرفية متباينة، ومن ذلك اسم المفعول، والمصدر الميمي، واسم الزمان، واسم المكان؛ كقولنا: "مخرج"، ومن الأمثلة التي استشرفها الباحث في التنزيل قوله -تعالى-: "وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ"⁽⁷⁸⁾، وموضع التدبر صيغة "مستقل" التي أودعت فيها كلمة

"مُسْتَقَرَّ"، فقد احتملت مَعَانِي صَرْفِيَّةً مَتَّوَعَةً، فَلَنَا فِي الْأَرْضِ زَمَانٌ مِنَ اللَّبْثِ وَالْإِقَامَةِ (اسم الزَّمان)، ولنا فيها مَكَانٌ مِنَ اللَّبْثِ وَالْإِقَامَةِ (اسم المَكَانِ)، ولنا فيها لَبْثٌ وَإِقَامَةٌ (الحدث)، وقد أتى على هذه المَعَانِي أَبُو حَيَّانَ، وَكَتَفَى السَّمِينُ بَاثْنَيْنِ مِنْهَا، وَهُمَا الْمَكَانُ وَالْمَصْدَرُ، أَمَّا الطَّبْرِيُّ وَالْقُرْطُبِيُّ فَلَمْ يَسْتَشْرِفَا إِلَّا مَعْنَى وَاحِدًا، هُوَ الْمَوْضِعُ، فَالْمُسْتَقَرَّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ مَوْضِعُ الْاسْتِقْرَارِ (79).

ومثلها في سورة "هود" في قولِ اللَّهِ -تبارك-: "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا" (80)، فقد احتملت ما احتملته الآية السابقة، فكلُّ التفسيرِ التي أتى بها الطَّبْرِيُّ وَالْقُرْطُبِيُّ لَا تَخْرُجُ عَنْ تَأْوِيلِ الْمَكَانِ، فَالْمُسْتَقَرُّ مِنَ الْأَرْضِ حَيْثُ تَأْوِي إِلَيْهِ، وَالْمُسْتَوْدَعُ: أَي الْمَوْضِعُ الَّذِي تَمُوتُ فِيهِ فَتُدْفَنُ، وَقِيلَ: حَيْثُ تَمُوتُ وَحَيْثُ تُبْعَثُ، وَقِيلَ: مُسْتَقَرَّهَا "فِي الرَّحْمِ"، وَمُسْتَوْدَعُهَا "فِي الصُّلْبِ"، وَقِيلَ: "يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا" فِي الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ، "وَمُسْتَوْدَعُهَا" فِي الْقَبْرِ (81). أَمَّا أَبُو حَيَّانَ وَالسَّمِينُ فَقَدْ التَّقَا عَلَى نَحْوِ مُعْجَبٍ إِلَى تَعَدِّدِ مَعَانِيهَا الصَّرْفِيَّةِ، مُسْتَشْرِفَيْنِ مَعْنَى الْمَصْدَرِ: اسْتِقْرَارَهَا وَاسْتِدَاعَهَا، وَمَعْنَى اسْمِ الْمَكَانِ، أَي مَكَانِ اسْتِقْرَارِهَا وَاسْتِدَاعِهَا، وَمَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ: "فِي مُسْتَوْدَعٍ" لِتَعَدِّي فِعْلِهَا، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي "مُسْتَقَرَّ"؛ لِأَنَّ فِعْلَهُ لَا زَمَّ (82).

ومثل ما تقدّم صيغة "مُفْعَل" في قوله -تعالى-: "وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا" (83)، فقد ترددت هذه الصيغة بين معنيين هما المَصْدَرِيَّةُ، وَالتَّقْدِيرُ: أَدْخَلْنِي إِدْخَالَ صِدْقٍ، وَأَخْرِجْنِي إِخْرَاجَ صِدْقٍ، وَالْأَسْمِيَّةُ، أَسْمِيَّةُ الْمَكَانِ، وَانْتِصَابُهَا هَهُنَا عَلَى الظَّرْفِيَّةِ (84)، وَلَعَلَّ الْمَلْمَحَ الْمُعْجَبَ فِي هَذَا السِّيَاقِ هُوَ الدَّعَاءُ لِتَحْقِيقِ هَذَا الْأَمْرِ بِكَلِمَتَيْهِ؛ تَحْقِيقِ الْحَدِيثِ (الْمَصْدَرِ)، وَتَحْقِيقِ مَكَانِهِ (الظَّرْفِيَّةِ).

وَمِنْ أَمْثَلَةِ ظَاهِرَةِ الْمَشْتَرَكِ الصَّرْفِيِّ الْآتِيَةِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ قَوْلُ اللَّهِ -تعالى-: "ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ" (85)، ذَلِكَ أَنَّ "مُغْتَسَلٌ" مُتْرَدِّدَةٌ بَيْنَ مَعْنَيَيْنِ فِي هَذَا السِّيَاقِ، وَهُمَا اسْمُ الْمَوْضِعِ الَّذِي يُغْتَسَلُ فِيهِ، وَقَدْ صِيغَ مِنْ غَيْرِ الثَّلَاثِيَّ، فَضُمَّ أَوَّلُهُ، وَفُتِحَ مَا قَبْلَ آخِرِهِ، وَقِيلَ إِنَّهُ "الْعَسُولُ"، وَهُوَ الْمَاءُ الْبَارِدُ الَّذِي يُغْتَسَلُ بِهِ (86).

فِي مَعَانِي الْأَفْعَالِ

وَمِمَّا يَصْدُقُ عَلَيْهِ تَعْرِيفُ الْمَشْتَرَكِ هَذَا الْمَوْضِعُ الْمُرَشَّحُ لِتَخَلُّقِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ؛ أَعْنِي ظَاهِرَةَ تَعَدِّدِ الْمَعَانِي الصَّرْفِيَّةِ، فَمِنَ الْمُقَرَّرِ الْمُسْتَحْكِمِ أَنَّ لِلْأَفْعَالِ فِي الْعَرَبِيَّةِ صِيغًا خَاصَّةً أَتَى عَلَيْهَا أَهْلُ هَذَا الدَّرْسِ، وَأَنَّ لِكُلِّ صِيغَةٍ مَعَانِي صَرْفِيَّةً مَخْصُوصَةً، وَمِنْ ذَلِكَ "أَفْعَلُ" الْحَمَالَةُ مَعَانِي مُتْبَايِنَةٌ، فَهِيَ تَدَلُّ عَلَى التَّعْدِيَةِ؛ وَذَلِكَ نَحْوُ "أَجْلَسْتُهُ"، وَالتَّعْرِيزِ، وَمِنْهُ "أَبْعَثَهُ" وَ"أَقْتَلْتَهُ"، وَالْإِسْتِحْقَاقَ، وَمِنْهُ "أَخْصَدَ الرَّزْعَ"، وَالْوَجُودَ؛ وَذَلِكَ نَحْوُ "أَحْمَدْتَهُ"، أَي وَجَدْتَهُ مَحْمُودًا (87)، وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ الْمَعَانِي تَتَدَاخَلُ تَدَاخُلًا يَفْضِي إِلَى تَوْهَمِ مَعْنَى الصِّيغَةِ فِي مَوَاضِعَ، وَمِنْ ذَلِكَ

"أشكيت الرجل" إذا أزلت شكواه، أو إذا أحوجته إلى الشكاية، و"أفزعتم القوم" إذا أحللت بهم الفزع، أو إذا أحوجتهم إلى الفزع، و"أودعت فلاناً مالاً": دفعته إليه وديعةً، وأودعته: قبلت وديعته⁽⁸⁸⁾. وإذا قيل: "وعدني الرجل فأخلفته" فإن هذا القالب "أخلفته" مترددٌ بين معنيين متضادين: أولهما: وجدته مُخلفاً، وهذه هي الإصابة، وثانيهما أنني أنا الذي لم يف بالوعد.

لنرجع البصر في ثلاثة سياقاتٍ تجليةً لهذا الباعث، واستشراقاً لهذه الظاهرة في التنزيل: أولاً: قول الحق -تعالى-: "وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى"⁽⁸⁹⁾، فقد احتملت صيغة "أفعل" التي أودع فيها الجذر "قنى" معنيين متضادين، وهما التعدية؛ أي أعطاه، والسلب والإزالة؛ أي أفقره، فالله -جل ذكره- هُوَ أَغْنَى مَنْ أَغْنَى مِنْ خَلْقِهِ بِالْمَالِ، وَأَقْنَاهُ، فَجَعَلَ لَهُ قِنِيَّةً؛ أي: أصول أموال، وفي تأويل آخر مُعْجَبٌ يتساقط مع هذا المتقدم قال آخرون: بَلْ عَنَى بِذَلِكَ أَنَّهُ أَغْنَى نَفْسَهُ، وَأَفْقَرَ خَلْقَهُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: بَلْ عَنَى بِذَلِكَ أَنَّهُ أَغْنَى مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَفْقَرَ مَنْ شَاءَ، وَالْمَعْنَى الْكَلْبِيُّ فِي تَلَكُمُ التَّفْسِيرَاتِ وَاحِدٌ، فَهُوَ أَغْنَى فَأَكْثَرَ، وَأَقْنَى فَأَقَلَّ⁽⁹⁰⁾، وَمِنَ اللَّغَوِيِّينَ وَالْمُفَسِّرِينَ مَنْ تَشَبَّهَتْ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ التَّعْدِيَّةُ، وَالْمَعْنَى الْكَلْبِيُّ: أَعْطَاهُ الْقِنِيَّةَ الَّتِي هِيَ الْمَالُ الَّذِي تَأْتَلُهُ وَعَزَمَ عَلَى الْإِلَّا يَخْرُجَهُ مِنْ يَدِهِ⁽⁹¹⁾.

ثانياً: ومن مثل ما تقدم قول الحق: "فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ"⁽⁹²⁾، فقد تعددت معاني "أفعل" في سياقها ذلك، فقيل: إنها التعدية، والمعنى: أجللته، وعظّمته، وقيل: إنها الإصابة والوجدان، والمعنى: أعظّمته إذ وجدته على هذه الصفة، وكما يقال: رأيتُهُ فأبخلته، وزرته فأنجدته، والمعنى: وجدته على هذه الصفة⁽⁹³⁾.

ثالثاً: قول الحق -تعالى-: "وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ"⁽⁹⁴⁾، فالظاهر أن بنية "أسقيناكموه" هي "أفعل"، ومن وجهة أخرى، احتملت معنيين صرفيين يجبان مجيئاً صالحاً، ولا يتدافعان، وهما التعدية، والتعريض، أما التعدية فعلى معنى "أسقى" كما نقول: أذهب، وأخرج، وأما التعريض فعلى معنى: جعله شرباً له، ولذلك قيل: سقيته حتى روي، وأسقيته نهراً: جعلته شرباً له⁽⁹⁵⁾، وقد أشار إلى المعنيين القرطبي، وأبو حيان، والسمين⁽⁹⁶⁾، وقد التقت الطبري إلى ملامح دلاليّ آخر، مستدلاً بأن المعنى هو: أنزلنا من السماء مطراً فأسقيناكم ذلك المطر لشرب أرضكم ومواشيكم، ولو كان معناه: أنزلناه لتشربوه، لقل: فسقيناكموه؛ وذلك أن العرب تقول إذا سقت الرجل ماءً شربه، أو لبناً، أو غيره: "سقيته" بغير ألف إذا كان لسقيه، وإذا جعلوا له ماءً لشرب أرضه أو ماشيته، قالوا: "أسقيته وأسقيت أرضه وماشيته"⁽⁹⁷⁾.

ومن مثل ما تقدم صيغة "فاعل" الحمالة لمعانٍ صرفيةً متنوعةً في العربية⁽⁹⁸⁾، ومن أمثلة تجلي هذه الظاهرة في التنزيل العزيز صيغة الفعل "قاسم" في قوله -تعالى-: "وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا مِنَ النَّاصِحِينَ"⁽⁹⁹⁾، ولعل احتمال صيغة "فاعل" و"المفاعلة" أفضى إلى تردد المفسرين

بين هذه المعاني الصرفية التي تكتنفها، فقد اقتصر الطبري والقرطبي على معنى واحد، وهو أن "فاعل" من واحد فقط، والمعنى "أقسم"، وفي هذا ردٌ -كما يقول القرطبي- على أن المفاعلة لا تكون إلا من اثنين⁽¹⁰⁰⁾. ومنهم من جنح إلى أنها مُحتملة مترددة بين معنيين اثنين: أولهما ما تقدّم آنفاً، وثانيهما: المفاعلة (المشاركة)، وهذا مذهب الزمخشري، والسّمين، وأبي حيّان، فكانه قال لهما: أقسم كما إني لمن الناصحين، وقال له: أتقسم بالله أنت إنك لمن الناصحين أنا؟ فجعل ذلك مقاسمةً بينهم⁽¹⁰¹⁾، وقيل: أقسم لهما بالنصيحة، وأقسما له بقبولها، فوَقعتِ المفاعلة، ويحتمل، كما يذهب أنصار هذا الرأي، أن يكون "فاعل" بمعنى "أفعل"؛ كقولنا: باعدته وأبعدته؛ ذلك أن الحلف إنما كان من إبليس دونهما⁽¹⁰²⁾.

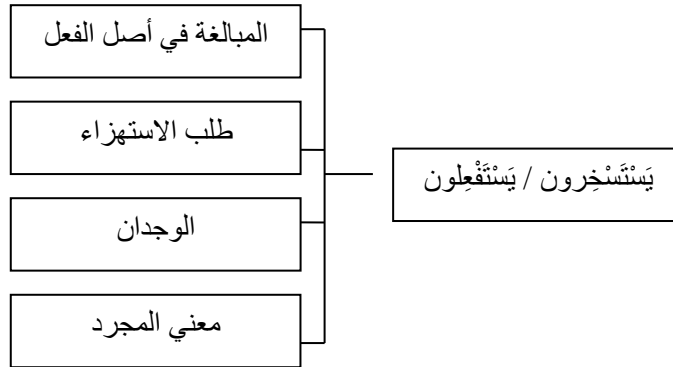
ومن مثل ما تقدّم دلالة صيغة "فاعل" في قول الحق -تقدّست أسماؤه-: "يُخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون"⁽¹⁰³⁾، فقد ترددت صيغة الفعل "يُخادعون" بين معنيين صرفيين، وهما: معنى المشاركة، ومعنى "فعل"، ولكلا المذهبين شواهد في العربية تُعزّزه، وقد عرج على المعنيين السمين الحلي مشيراً إلى أنّهما صالحان غير متدافعين، وهما المشاركة، وموافقة المُجرّد (فعل)؛ كقولنا: سافرت، وقاسيت، وعاقبت، ويسند هذا قراءة ابن مسعود وأبي حيو: "يُخدعون"⁽¹⁰⁴⁾، أما المشاركة فمعناها أن المُخادعة منهم لله، وأن مُخادعة الله إياهم من حيث إنه أجرى عليهم أحكام المسلمين في الدنيا، ومخادعة المسلمين لهم في أنهم امتثلوا أمر الله -تعالى- فيهم⁽¹⁰⁵⁾.

وقد قرّر الزمخشري معنى الواحد من المفاعلة في سياقها المتقدم آنفاً، ملتمساً ملماً بلاغياً مُعجباً يُفضي إلى نكتة بلاغية لطيفة، ذاهباً إلى أن الدلالة الكلية من هذه الصيغة هي المُبالغة، إلا أنه خرج في زنة "فاعل"؛ "لأنّها في أصلها للمغالبة والمُباراة، والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زال له وحده من غير مُغالٍ ولا مُبارٍ؛ لزيادة قوّة الداعي إليه"⁽¹⁰⁶⁾. أما الطبري فقد جأ بالشكوى من عدّ "يُخادعون" في سياقها الشريف ذلك من واحد، مشيراً إلى أن بعض المنسويين إلى العلم بلغات العرب قال: إن ذلك حُرّف جاء بهذه الصورة، أعني "يُخادع" بصورة "يُفاعِل" وهو بمعنى "يُفعل": يُخدع، وهو نظير قولهم: قاتلك الله، بمعنى: قتلك الله، "وليس القول في ذلك عندي كالذي قال، بل ذلك من التفاعل الذي لا يكون إلا من اثنين كسائر ما يُعرف من معنى "يُفاعِل" و"مُفاعِل" في كل كلام العرب، وذلك أن المُنافِق يُخادع الله -جلّ ثناؤه- بكذبه بلسانه على ما قد تقدّم وصفه، والله -تبارك اسمه- خادعه بخذلائه عن حُسن البصيرة بما فيه نجاة نفسه في أجل معاده،... وقد تكون المفاعلة من واحد في أشياء كثيرة"⁽¹⁰⁷⁾.

ولعل الذي يظهر، بعد هذا العرض، ملحظان، أولهما: أن المُفسرين تباينوا في فهم دلالة صيغة "فاعل" في سياقها ذلك تبايناً مرده إلى أنّها حمالة لأوجه دلالية مُتقبلة، فمنهم من جنح

إلى تَقْرِيرِ الْمَعْنِيِّينِ كَالسَّمِينِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَرَّرَ مَعْنَى وَاحِدًا كَالرَّمْخَشِرِيِّ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَرَّرَ مَعْنَى آخَرَ يَقَعُ تَحْتَ هَذِهِ الصِّيغَةِ الْمُشْتَرَكَةِ كَالطَّبْرِيِّ. وَثَانِيهِمَا: أَنَّ لِلأَهْوَاءِ وَالْمِيُولِ الْعَقْدِيَّةِ وَالْمَذْهَبِيَّةِ سُهْمَةً فِي تَرْجِيحِ دِلَالَةِ عَلَى أُخْرَى، فَالْمَعْتَزِلَةُ يُنْزَهُونَ الْحَقَّ، وَلِذَلِكَ رَفَعُوا عَنْهُ -جَلَّ فِي غَلَاهُ- صِفَةَ الْمُخَادَعَةِ؛ وَافْتَصَرُوا عَلَى مَعْنَى الْمُجَرَّدِ الدَّالِّ عَلَى الْمُبَالِغَةِ وَالْمُبَارَاةِ زِيَادَةً فِي التَّنْزِيهِ، مُحْتَكِمِينَ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْظَارِ مَذْهَبِيَّةٍ أَفْضَتْ إِلَى تَلَمُّسِ دِلَالَةِ وَاحِدَةٍ مِنْ دِلَالَاتِ تَحْتَمُلُهَا هَذِهِ الصِّيغَةُ.

وَبِالْعَوْدِ عَلَى صِيغَةٍ صَرْفِيَّةٍ أُخْرَى، وَهِيَ "اسْتَفْعَلَ"، يَجْدُ النَّاطِرُ أَنَّهُ يَقَعُ تَحْتَهَا مَعَانٍ صَرْفِيَّةٌ مُتَعَدِّدَةٌ، فَقَدْ يَأْتِي هَذَا الْقَالِبُ لِلإِصَابَةِ؛ كَقَوْلِنَا: "اسْتَجَادَ"، وَالْمَعْنَى الْمَتَعِينُ هُوَ وَجَدْتُهُ أَوْ أَصْبَيْتُهُ جَيِّدًا، وَمِنْ مَعَانِيهِ الطَّلْبُ؛ وَذَلِكَ نَحْوُ "اسْتَكْتَبَ" وَ"اسْتَفْهَمَ"، وَالتَّحْوُلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ؛ نَحْوُ "اسْتَنَوَقَ" وَ"اسْتَنْتَيْسَ"، وَقَدْ يَكُونُ مُرَادِفًا لـ"تَفَعَّلَ"؛ وَمِنْ ذَلِكَ "تَعَظَّمَ" وَاسْتَعَظَّمَ"، وَتَكَبَّرَ وَاسْتَكَبَّرَ" (108)، وَقَدْ أَفْضَى هَذَا الْمُشْتَرَكُ الصَّرْفِيُّ إِلَى تَجَلِّيِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ مِنْ وَجْهَةٍ، وَإِلَى تَرَدُّدِ الْمَفْسَّرِينَ وَاللُّغَوِيِّينَ بَيْنَ بَعْضِ هَذِهِ الْمَعَانِي فِي الصِّيغَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ وَجْهَةٍ أُخْرَى، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ -تَقَدَّسَ اسْمُهُ-: "وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ" (109):



فَالظَّاهِرُ أَنَّ الصِّيغَةَ "يَسْتَسْخِرُونَ" تَحْتَمِلُ أَرْبَعَةَ مَعَانٍ صَرْفِيَّةٍ، أُولَاهَا: الْمُبَالِغَةُ فِي أَصْلِ الْفِعْلِ، وَثَانِيهَا الطَّلْبُ؛ أَي: شَرَعَ بَعْضُهُمْ يَطْلُبُ مِنْ بَعْضِ السَّخْرِيَّةِ (110)، وَثَالِثُهَا الْوَجْدَانُ، وَرَابِعُهَا عَلَى مَعْنَى الْمُجَرَّدِ، وَقَدْ التَّقْتِ، عَلَى نَحْوِ مُعْجَبٍ، إِلَى هَذِهِ الْمَعَانِي الْقَرْطَبِيُّ مُشِيرًا إِلَى أَنَّ "اسْتَسْخَرَ" وَ"سَخَرَ" بِمَعْنَى، وَهَذَا مِثْلُ "اسْتَقَرَّ" وَ"قَرَّرَ"، وَ"اسْتَعْجَبَ" وَ"عَجِبَ"، وَإِلَى أَنَّ الْمَعْنَى الْآخَرَ الَّذِي يَقَعُ تَحْتَ هَذِهِ الصِّيغَةِ فِي سِيَاقِهَا هُوَ الْاسْتِدْعَاءُ وَالطَّلْبُ، فَقِيلَ: "يَسْتَسْخِرُونَ"، أَي: يَسْتَدْعُونَ السَّخْرِيَّةَ مِنْ غَيْرِهِمْ" (111)، أَي: يَطْلُبُونَ أَنْ يَكُونُوا مِمَّنْ يَسْخَرُونَ (112)، وَإِلَى أَنَّ الْمَعْنَى الثَّلَاثَ الَّذِي أَثْبَتَهُ هُوَ أَنَّهُمْ يَطْنُونَ أَنَّ تِلْكَ الْآيَةَ سُخْرِيَّةٌ (113)، أَمَا الطَّبْرِيُّ فَلَمْ يَذْهَبْ إِلَّا إِلَى مَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ أَنَّهَا بِمَعْنَى الثَّلَاثِي (114).

وَمِنْ مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ تَرَدُّدِ صِيغَةِ "اسْتَفْعَلَ" بَيْنَ مَعَانٍ مُتَنَوِّعَةٍ فِي سِيَاقِهَا الْقُرْآنِيِّ الشَّرِيفِ فِي قَوْلِ الْحَقِّ: "قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ" (115)،

والظاهر أنها مُحتملةٌ معنى التَّعدية؛ ذلك أنَّ "اسْتَفْعَلَ" يكون بمعنى "أَفْعَلَ"، والمعنى: أَرْهَبُوهُمْ، وهو قَرِيبٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: قَرَّ وَاسْتَقَرَّ، وَعَظَمَ وَاسْتَعْظَمَ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ السَّيْنُ عَلَى بَابِهَا، وَالْمَعْنَى الطَّلِبُ، أَي: اسْتَدْعُوا زَهَبَةَ النَّاسِ مِنْهُمْ، وَهُوَ رَأْيُ الزَّجَّاجِ⁽¹¹⁶⁾، وَقَدْ أَتَى عَلَى الْمَعْنِيِّينَ الْقُرْطُبِيِّ، عَارِضًا حُجَّةً مَنْ قَالَ بِهِمَا، قَائِلًا بِأَنَّهَا هَهُنَا بِمَعْنَى "أَفْعَلَ"، وَأَنَّ "اسْتَرْهَبُوهُمْ" بِمَعْنَى "أَرْهَبُوهُمْ"، فَكَأَنَّ فِعْلَهُمْ أَقْتَضَى وَاسْتَدْعَى الرَّهْبَةَ مِنَ النَّاسِ، وَمَعَ هَذَا لَا يُرَجِّحُ أَبُو حَيَّانَ مَعْنَى الطَّلِبِ وَالِاسْتَدْعَاءِ؛ لِأَنَّ الِاسْتَدْعَاءَ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ وَقُوعُ الْمُسْتَدْعَى وَالْمَطْلُوبِ، وَالظَّاهِرُ عِنْدَهُ حَصُولُ الرَّهْبَةِ، فَلِذَلِكَ قُلْنَا: إِنَّ "اسْتَفْعَلَ" فِيهِ مُوَافَقٌ "أَفْعَلَ"، وَصَرَّحَ أَبُو الْبَقَاءِ بِأَنَّ مَعْنَى "اسْتَرْهَبُوهُمْ" طَلَبُوا مِنْهُمْ الرَّهْبَةَ⁽¹¹⁷⁾.

وَمِنْ مَثَلٍ مَا تَقَدَّمَ -أَعْنِي تَرَدَّدَ صِيغَةَ "اسْتَفْعَلَ" بَيْنَ دِلَالَتِي الطَّلِبِ وَالْمُجَرَّدِ فِي سِيَاقِهَا الشَّرِيفِ- قَوْلُ الْحَقِّ: "قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا"⁽¹¹⁸⁾، فَقَدْ احْتَمَلَتْ دِلَالَةً صِيغَةَ "اسْتَكْبَرُوا" الطَّلِبُ؛ طَلِبَ الْهَيْبَةَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَهُوَ مِنَ الْكِبَرِ، "فَيَكُونُ" اسْتَفْعَلَ فِي هَذَا السِّيَاقِ الشَّرِيفِ لِلطَّلِبِ، وَتَكُونُ "اسْتَفْعَلَ" عَلَى بَابِهَا، أَوْ قَدْ تَكُونُ بِمَعْنَى "فَعَلَ"، أَي: كَبَرُوا لِكثْرَةِ الْمَالِ وَالْجَاهِ، فَيَكُونُ مِثْلَ "عَجِبَ وَاسْتَعْجَبَ"⁽¹¹⁹⁾، وَقَدْ أَتَى عَلَى الْمَعْنِيِّينَ السَّمِينِ، مُفَسِّرًا مَعْنَى الطَّلِبِ قَائِلًا بِأَنَّهُمْ طَلَبُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ الْكِبَرَ، وَمِنْ الْمُؤْمِنِينَ الضَّعْفَ⁽¹²⁰⁾.

اِخْتِلَافُ الْأَصْلِ الْاِسْتِقَاقِيّ

وَعَلَى صَعِيدٍ صَرْفِيٍّ آخَرَ يَكُونُ لِتَوْهَمِ الْأَصْلِ الْاِسْتِقَاقِيّ نَصِيبٌ فِي تَخَلُّقِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ؛ ظَاهِرَةٌ تَعَدَّدِ الْمَعَانِي الصَّرْفِيَّةِ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ فِي قَوْلِ الْحَقِّ -تَقَدَّسَ اسْمُهُ-: "قَدَلَاهُمَا بَغُرُورٍ"⁽¹²¹⁾، وَقَدْ أَفْضَى ارْتِدَادُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ إِلَى أَصْلَيْنِ اِسْتِقَاقِيَّيْنِ مُتَبَايِنَيْنِ إِلَى تَرَدَّدِ بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ بَيْنَهُمَا؛ ذَلِكَ أَنَّ "دَلَاهُمَا" مُحتملةٌ أَنْ تَكُونَ فِي أَصْلِهَا الْاِسْتِقَاقِيّ مِنْ "د ل و"، أَوْ أَنْ تَكُونَ مِنْ "د ل ل"، وَلَيْسَ يَخْفَى أَنْ تَمَّ بَوْنًا بَيْنَ الْمَعْنِيِّينَ عَرِيضًا، أَمَا الطَّبْرِيُّ فَلَمْ يَذْهَبْ إِلَّا إِلَى أَصْلِ اِسْتِقَاقِيّ وَاحِدٍ، وَهُوَ "د ل و"، جَانِحًا إِلَى أَنَّ هَذَا مَعْنَى مُجَازِيٍّ، مُفَسِّرًا مَعْنَى الْحَقِّ -تَعَالَى-: "قَدَلَاهُمَا بَغُرُورٍ" قَائِلًا: "فَخَدَعَهُمَا بَغُرُورٍ، يُقَالُ مِنْهُ: مَا زَالَ فُلَانٌ يُدَلِّي فُلَانًا بَغُرُورٍ، بِمَعْنَى: مَا زَالَ يَخْدَعُهُ بَغُرُورٍ، وَيَكَلِّمُهُ بِرُخْرُفٍ مِنَ الْقَوْلِ بَاطِلٍ"⁽¹²²⁾، وَقَدْ فَسَّرَ ابْنُ مَنْظُورٍ هَذَا الْمَجَازَ بِأَنَّ أَصْلَهُ أَنَّ الرَّجُلَ الْعَطْشَانَ يُدَلِّي فِي الْبَيْتِ لِيُرْوَى مِنْ مَائِهَا فَلَا يَجِدُ، فَيَكُونُ مُدَلِّيًّا فِيهَا بِالْبَغُرُورِ، فَوَضِعَتْ التَّدْلِيَّةُ مَوْضِعَ الْإِطْمَاعِ فِيمَا لَا يُجْدِي نَفْعًا⁽¹²³⁾. أَمَا الْقُرْطُبِيُّ فَقَدْ أَلْمَحَ، بَلَّ صَرَّحَ، فِي ثِنْيِ تَعْرِيجِهِ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ، بِالْمَعْنِيِّينَ مُعَوَّلًا عَلَى أَنَّهُمَا يَرْتَدَانِ إِلَى أَصْلَيْنِ اِسْتِقَاقِيَّيْنِ مُتَبَايِنَيْنِ، فَالْأَوَّلُ أَنَّ الْأَصْلَ الْاِسْتِقَاقِيّ الْعَرِيضَ هُوَ "د ل و"، وَالثَّانِي أَنَّهُ مِنْ "د ل ل"، وَعَلَى الْأَوَّلِ يُحْمَلُ قَوْلُ الْحَقِّ -تَعَالَى- بِأَنَّهُ دَلَاهُمَا، أَي أَخْرَجَهُمَا، كَمَا نَقُولُ: أَدَلِّي دَلْوَهُ، فَأَرْسَلَهَا،

وأدليتها إذا أخرجتها، وعلى الثاني دللها، وهو من الدالة، وهي الجزاء، أي جرأهما على المعصية، فخرجا من الجنة⁽¹²⁴⁾. أما السيوطي فقد قرر أن أصل الكلمة هو "د ل و"، وبذا يكون المعنى بأن إبليس هو الذي حطهما عن منزلتهما بغرور، وقد أتى على هذين المعنيين السمين الحلبي، مفسراً هذا العارض، ذاهباً إلى أن الأصل "دللهما" فيه توالي ثلاثة أمثال، وهذا مستنقلاً في العربية، فأبدل الثالث ليئاً، كقولهم: "تظنيت" في "تظننت"، و"قصيت أظاري" في "قصصت"⁽¹²⁵⁾.

ومما تعددت معانيه الصرفية تعدداً باعته اختلاف الأصل الاشتقاقي قوله -تعالى-: "وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ"⁽¹²⁶⁾، وقراءة الجمهور: "وَقَرْنَ" بكسر القاف، وقرأ عاصم ونافع بفثحها. أما القراءة الأولى فهي موضع التمثل؛ ذلك أنها تحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون من الوقار، فنقول: وَقَرَّ يَقرُّ وَقَارًا، والمعنى: سَكَنَ، وَالْأَمْرُ: "قِرْ"، وَلِلنِّسَاءِ "قِرْنَ"؛ كما نقول: "عِدْنَ"، وَرِزْنٌ، وَالْوَجْهَ الثَّانِي: أَنَّ الْكَلِمَةَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ "ق ر ر"، وعلى هذا نقول: قَرَرْتُ بِالْمَكَانِ أَقِرُّ، وَالْأَصْلُ لِلنِّسَاءِ: أَقِرِّرُنَّ، بِكسر الرَّاءِ، فَحُذِفَتْ الرَّاءُ الْأُولَى تَخْفِيفًا، كَمَا قِيلَ فِي "ظَلَلْتُ": "ظَلَّتْ"، وَ"مَسَّتْ": "مَسَتْ"، وَنُقِلَتْ حَرَكَتُهَا إِلَى الْقَافِ، وَاسْتُعْنِيَ عَنِ الْفِ الْوَصْلِ لِتَحْرُكِ الْقَافِ، وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ دُونَ تَقْدِيمِ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ وَالْقُرْطُبِيُّ وَالْعَكْبَرِيُّ⁽¹²⁷⁾، أَمَّا الطَّبْرِيُّ فَقَدَّمَ قِرَاءَةَ الْكَسْرِ "قِرْنَ"، وَالْمَعْنَى عِنْدَهُ: كُنْ أَهْلٌ وَقَارٍ وَسَكِينَةً، وَقَدْ فَسَّرَ صِيرورَةَ "قِرْنَ" عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ بِقَوْلِهِ: "وَإِنْ كَانَ مِنَ الْقِرَارِ، فَإِنَّ الْوَجْهَ أَنْ يُقَالَ: أَقِرِّرُنَّ؛ لِأَنَّ مَنْ قَالَ مِنَ الْعَرَبِ: ظَلَّتْ أَفْعَلَ كَذَا، وَأَحَسَّتْ بِكَذَا، فَاسْقَطَ عَيْنَ الْفِعْلِ"⁽¹²⁸⁾.

وَمِنْ مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ دِلَالَةُ كَلِمَةِ "بُرْهَانٌ" فِي قَوْلِ الْحَقِّ: "قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ"⁽¹²⁹⁾؛ ذَلِكَ أَنَّهَا تَرْتَدُّ إِلَى أَصْلَيْنِ اشْتِقَاقِيَيْنِ مُتَبَايِنَيْنِ، وَهُمَا "ب ر ه"، وَجَمَاعُ مَعْنَاهُ الْقَطْعُ؛ إِذِ إِنَّهُ؛ أَعْنَى الْبُرْهَانِ، يُعِيدُ الْعِلْمَ الْقَطْعِيَّ، وَمِنْهُ بُرْهَانُ الزَّمَانِ الَّتِي هِيَ قِطْعَةٌ مِنْهُ، فَعَلَى هَذَا وَزَنُّهُ "فُعْلَانٌ"، وَالنُّونُ فِيهِ زَائِدَةٌ، وَالْأَصْلُ الْآخَرُ الْمُحْتَمَلُ هُوَ "ب ر ه ن"، فَوَزَنُهُ عَلَى هَذَا الْمَحْمَلِ "فُعْلَالٌ"، وَبَرَهَنْ فَعَّلَلَ لَا فَعْلَلَنْ، وَمَعْنَاهُ الْبَيَانُ، وَعَلَى هَذَا يَتَرْتَّبُ خِلَافٌ فِي صَرْفِ "بُرْهَانٌ" أَوْ عَدْمِهِ⁽¹³⁰⁾.

وَفِي مِثَالٍ آخِرٍ مُنْتَسِبٍ إِلَى هَذِهِ الْمُبَاحَثَةِ الْفَرَعِيَّةِ اخْتَلَفَ كَثِيرًا فِي أَصْلِ "الذَّرِيَّةِ"، وَمِمَّا وَرَدَتْ فِيهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَوْلُهُ -تعالى-: "قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي"⁽¹³¹⁾، وَالْحَقُّ أَنَّ فِي اشْتِقَاقِ "ذُرِّيَّةٍ" وَتَصْرِيْفِهَا كَلَامًا طَوِيلًا يَحْتَاجُ النَّاطِرُ فِيهِ إِلَى تَأْمَلٍ⁽¹³²⁾، فَفِيهَا أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ يَنْبَغِي عَلَى كُلِّ قَوْلٍ اِحْتِمَالَاتٌ كَثِيرَةٌ لَيْسَ الْمَقَامُ مَقَامَهَا، أَوْلَاهَا: "ذُرًّا"، وَثَانِيهَا: "ذَررٌ"، وَثَالِثُهَا: "ذرو"، وَرَابِعُهَا: "ذري".

أما الهمزة فمنها: ذرأ الله الخلق، وأما "ذرر" فمنها كلمة الذر، وهو صغار التمل، وذلك لما ورد في الخبر: "إن الخلق كان كالذر"، وأما الواو والياء فمن: ذرؤت الحب وذرئته؛ يقالان جميعاً، ومنه قوله -تعالى-: "فأصبح هشيماً تذروه الرياح"⁽¹³³⁾، وهي حال الذر أيضاً، وقيل: إنما سُموا ذرئاً؛ لأن الله ذرأها على الأرض كما ذرأ الزارع البذر⁽¹³⁴⁾.

العوارض التصريفية:

لعل الذي يحسن قبل الشروع في تلمس مناحي هذه المباحثة الفرعية تجليةً وتحوطاً، أما التجلية فخائضة في مطلب هذه المباحثة، وهو العوارض التصريفية، ويقصد منها ما يطرأ على أبنية الكلم في العربية من تغيرات يفتضيهما نظام اللغة العربية عامةً، ونظام البني الصرفية خاصةً؛ وذلك نحو الإدغام، والإعلال، والقلب، والحذف. أما التحوط فالباعث عليه أن بعض تلك العوارض صوتية في مقامها الأول، أو استعمالية، ولذا فإن تخلق هذه العوارض التصريفية المؤذنة بتخلق ظاهرة المشترك الصرفي في العربية إنما يعود في أصول عميقة إلى علل صوتية أو استعمالية، ولعل في المثل المسوقة بعداً فضلاً بيان يُعين موضوعاً هذه المباحثة أولاً، والتجلية ثانياً، والتحوط ثالثاً:

عارض الجمع:

في العربية الجمع عملية صرفية لها سبيلان: أولهما بإضافة لواحق صرفية مخصوصة، فينشأ ما يُسمى بجمع السلامة، وثانيتهما بتكسير البنية وإيداعها في قالب مخصوصة تعارف عليها أهل الدرس بأنها جموع التكسير، وقد فسّموها قسمين: جموع القلة وجموع الكثرة، وقد يؤذن هذا العارض الأخير بتداخل أبنية الكلم، وتعدّد المعاني الصرفية الواقعة تحت الكلمة، ولأكتفٍ ببضعة أشكالٍ منه دالة على ما أنا خائض فيه:

صيغة "فعل":

"فعل" صيغة صرفية يُفصي عارض الجمع إلى صيرورتها مُشترَكًا صرفياً حملاً لمعنيين: معنى الجمع، ومعنى الأفراد، ومن ذلك قول الله -تعالى- في تنزيهه: "فقدية من صيام أو صدقة أو نُسك"⁽¹³⁵⁾، ولما ورد المُفسرون واللغويون على هذه الآية ألفوا فيها مُشترَكًا صرفياً واقعا في دلالة "نُسك"، فقالوا إنها مُحتملة الجمع؛ جمع نسيكة، ومحتملة المصدرية، كما في قولنا: نَسَكَ ينسك نُسكاً ونُسكاً، والمعنى: الدَّبْحُ، ولا ريب أن ثَمَّ تبايناً صرفياً بين المعنيين⁽¹³⁶⁾، ومثلها قول الحق -تبارك-: "فما تُعني النذر"، فقد تكون جمعاً، وقد تكون مصدرًا أو اسماً؛ ذلك أن "النذر" جمع نذير، وهي بمعنى الإنذار أيضاً⁽¹³⁷⁾.

صيغة "فُعول":

"فُعول" صيغة يُستفاد منها مصدر من مصادر الثلاثي كما في قولنا: ظهرَ ظهوراً، وبطنَ بطوناً، ويُستفاد منها معنى الجمع؛ وذلك نحو: ظهرَ - ظهورٌ، وبطنَ - بطونٌ، والظاهر أن

عارض الجمع أفصى إلى تخلّق هذه الظاهرة، ومن تجليات ذلك في التنزيل العزيز: "وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ"⁽¹³⁸⁾، وليس يخفى، بعد هذا العرض، أنّ دلالة "السُّجُودِ" الصرفية مُحتملة مُترددة بين كونها مصدرًا، كقولنا: سجدَ سُجُودًا، والمصدرُ قد يوصفُ به في العربية، كما يُقال: فلانٌ عذُلٌ، وبين كونها جمعًا، كما نقول: "ساجدٌ وسجودٌ، وقاعدٌ وقعودٌ"⁽¹³⁹⁾، وهو مناسبٌ لما قبله، أعني الجمع، وقد التفت أبو حيّان التفاتةً مُعجبةً تُفضي بالمُتأملِ إلى استحسانِ رأيه لما أشار إلى أنّهما قد جُمعا جمعٌ تكسيرٍ (الرُّكَّعِ والسُّجُودِ) لمقابلتهما ما قبلهما من جمعي السلامة (الطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ)، وأنّ الرُّكُوعَ قد قُدِّم في السُّجُودِ لتقدّمه عليه في الزمان، فكان ذلك تنويحًا في الفصاحة، وكان آخرهما على وزن "فُعول" لا على "فُعَل" لأجل كونها فاصلةً⁽¹⁴⁰⁾.

صيغة "فعال":

صيغةُ "فعال" يستوي تحتها معنى المصدرية؛ كقولنا: "كفاحٌ"، و"بضالٌ"، و"قتالٌ"، ومعنى الجمع من مثل "كريم-كرام"، و"خصيم-خصام"، ولعلّ هذا الاشتراك بين المعنيين هو الذي أفصى بالمفسرين إلى التردّد بينهما في استشرافِ المعنى المتعين من قوله -تعالى-:

- "ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدُقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ"⁽¹⁴¹⁾.

- "وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا"⁽¹⁴²⁾.

- "وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ"⁽¹⁴³⁾.

أما في الآية الأولى فموضعُ التدبّرِ كلمةُ "خلال"؛ والحقُّ أنّها مُشتركةٌ بين معنيين صرفيين، وهما الإفراد؛ كقولنا: "حجاب"، و"خلال"، والجمع؛ كقولنا: "جبلٌ" و"جبالٌ"، و"خللٌ" و"خلالٌ"، وهي فُرْجُه وَمَخَارِجُ الْقَطْرِ مِنْهُ، والمعنيان مُتقبِلانِ يَجِينانِ مَجِينًا صَالِحًا في سياقهما، ومِمَّا يسندُ معنى الإفراد قراءةُ الصَّحَّاحِ وَأَبِي الْعَالِيَةِ "مِنْ خَلَلِهِ" على التَّوْحِيدِ⁽¹⁴⁴⁾.

أما الآيةُ الثانيةُ فموضعُ النظرِ فيها قولُ الحقِّ: "إِمَامًا"؛ ذلك أنّها أودعت في صيغة "فعال"، فاحتملت المعنيين: الإفراد (المصدرية) والجمع، أما على محملِ المصدرية والإفراد فقد علّل أنّ الحقّ لم يقل "أئمة" على الجمع؛ لأنّ الإِمَامَ مَصْدَرٌ، فنقول: أمّ القَوْمِ فلانٌ إِمَامًا، مثل الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، وهذا معنى المصدرية الذي جاءت عليه الكلمة مفردة إرادةً للجنس، أما على محملِ الجمعِ فقيل: أرادَ أئمةً، كما يقول القائل: أميرنا هؤلاء، يعني أمراءنا، والمعنى: اجعلنا أئمةً هُدًى، ويسندُ هذا المعنى ويقويه قوله -تعالى-: "وَاجْعَلْنَا مِنْهُمْ أئمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا"⁽¹⁴⁵⁾، وقد قيل: الإمامُ جمعُ أمٍّ، من: "أمُّ يَوْمٍ"، جمعٌ على فعال؛ نحو صاحبٍ وصحاب، وقائمٍ وقِيام⁽¹⁴⁶⁾.

أما في الآية الثالثة فالذي يظهر فيها أنّ كلمة "خصام" مُحتملة المعنيين الصرفيين⁽¹⁴⁷⁾: المصدرية، والجمع، ولا يخفى أنّ ثمَّ بونًا بين المعنيين جليًا يبنني على هذا التباين الآتي من المُشترِكِ الصَّرْفِيِّ.

صيغة 'فعلان':

وَمِنْ ذَلِكَ صِيغَةُ 'فُعْلَان' الَّتِي يَسْتَوِي فِيهَا الْجَمْعُ وَالْمَصْدَرُ فِي قَوْلِ اللَّهِ -تعالى-: 'أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ' (148)، فَمَوْضِعُ النَّظَرِ كَلِمَةُ 'بُنْيَانٍ' الَّتِي احْتَمَلَتْ صِيغَتَهَا الْمَصْدَرُ كَمَا فِي قَوْلِنَا: 'عُفْرَان، وَشُكْرَان'، وَقَدْ أُطِيقَ عَلَى الْمَفْعُولِ (الْمَبْنِيِّ)؛ كَالْخَلْقِ بِمَعْنَى الْمَخْلُوقِ، وَقَدْ احْتَمَلَتْ الْجَمْعُ، جَمْعَ وَاحِدِهِ، وَهُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى الْخَاطِرِ الْأَوَّلِ، وَوَاحِدُهُ 'بُنْيَانَةٌ'، وَهُوَ، أَعْنِي وَاحِدَهُ، اسْمُ جَنْسٍ؛ كَقَمَحٍ وَقَمَحَةٍ (149).

صيغة 'فُعْلَى':

وَمِنْ أَمْثَلَةِ اشْتِرَاكِ الصَّيغِ الصَّرْفِيَّةِ اشْتِرَاكًا بَاعْتِهَ عَارِضُ الْجَمْعِ قَوْلُهُ -تعالى-: 'إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى' (150)، فَقَدْ احْتَمَلَتْ كَلِمَةُ 'نَجْوَى' بِالصَّيغَةِ الَّتِي ظَهَرَتْ عَلَيْهَا مَعْنِيَيْنِ، وَهِيَ الْمَصْدَرِيَّةُ، وَهُوَ وَجْهٌ مُتَقَبَّلٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنْفَا أَنْنَا نَقُولُ: 'فُلَانٌ عَدَلٌ'، وَقَدْ صَرَّحَ الطَّبْرِيُّ بِهَذَا الْمَعْنَى قَائِلًا: 'وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَقُولُ: النَّجْوَى: فَعَلَهُمْ، فَجَعَلَهُمْ هُمْ النَّجْوَى، كَمَا يَقُولُ: هُمْ قَوْمٌ رَضِيَ، وَإِنَّمَا رَضِيَ: فَعَلَهُمْ' (151). وَالْجَمْعُ، أَي: جَمْعُ نَجْيٍ، كَقَوْلِنَا: 'قَتِيلٌ: قَتَلِي'، وَالْمَعْنَى: إِذْ هُمْ مُتَنَاجِجُونَ، وَقَدْ أَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا يَعْتَرِيهَا مِنْ اشْتِرَاكِ دِلَالِيٍّ ابْنِ قَتِيْبَةٍ، وَالرَّجَاجِ، وَابْنِ الْأَنْبَارِيِّ، وَالْعَكْبَرِيِّ (152).

وَعَلَى صَعِيدِ صَرْفِيٍّ آخَرَ قَدْ تَنَجَّلَى هَذِهِ الظَّاهِرَةُ مِنَ الْجَمْعِ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ مُخْتَلَفٌ قَلِيلًا؛ ذَلِكَ أَنَّ التَّبَايْنَ وَاقِعٌ فِي أَصْلِ الْمُفْرَدِ، فَالْكَلِمَةُ الَّتِي هِيَ جَمْعٌ تَرْتَدُّ إِلَى صِيغَتَيْنِ مُفْرَدَتَيْنِ قَبْلَ الْجَمْعِ، وَقَدْ اسْتَوَتْ فِي صِيغَةِ جَمْعٍ وَاحِدَةٍ تَحْتَمِلُهُمَا، وَمِنْ ذَلِكَ كَلِمَةُ 'أَلُوفٌ' فِي قَوْلِ اللَّهِ: 'أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ' (153)، فَهِيَ صِيغَةٌ عَلَى وَزْنِ 'فُعُولٌ' تَحْتَمِلُ أَنْ تُرَدَّ إِلَى صِيغَتَيْ مُفْرَدَيْنِ، وَهِيَ: 'أَلُوفٌ'، وَهُوَ الْأُظْهَرُ عِنْدَ الرَّمْخَشَرِيِّ وَالسَّمِينِ (154)، وَهُوَ جَمْعٌ كَثْرَةٌ، وَجَمْعُ الْقَلَّةِ هُوَ آلُوفٌ، وَالثَّانِي جَمْعُ 'أَلِفٍ'، عَلَى 'فَاعِلٍ'؛ كَقَوْلِنَا: شَاهِدٌ وَشُهُودٌ، وَقَاعِدٌ وَقُعُودٌ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ خَرَجُوا مُؤْتَلِفِينَ، وَعَنْ الْأَخِيرِ قَالَ الرَّمْخَشَرِيُّ: 'وَمِنْ بَدْعِ النَّقَاسِيرِ: أُلُوفٌ: مُتَأَلِفُونَ، جَمْعُ أَلِفٍ؛ كَقَاعِدٍ وَقُعُودٍ' (155)، وَلَا أَرَى ذَلِكَ كَذَلِكَ.

وَمِنْ مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ كَلِمَةُ 'عُلْفٌ' فِي قَوْلِ الْحَقِّ -تعالى-: 'وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ' (156)، بِسُكُونِ اللَّامِ، فَقِيلَ: هِيَ جَمْعُ 'أَعْلَفٍ'، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يُخْتَتَنْ، وَالْمَعْنَى -كَمَا يُفَرِّزُهُ السَّمِينُ-: خُلِقَتْ وَجُبِلَتْ مُغْشَاةً لَا يَصِلُ إِلَيْهَا الْحَقُّ' (157)، فَكَانَ عَلَيْهَا أَعْطِيَّةً، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ: 'قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ' (158) أَي: فِي أَوْعِيَّةٍ، وَقِيلَ: هِيَ جَمْعُ غِلَافٍ؛ كَقَوْلِنَا: كِتَابٌ وَكُتُبٌ، وَحِمَارٌ وَحُمُرٌ، قَدْ سُكِّنَتِ اللَّامُ سَكُونٌ تَخْفِيفٍ؛ كَقَوْلِنَا: رُسُلٌ، وَأَبِي حَيَّانَ قَوْلٌ فَصَلَّ فِيهَا، فَقَدْ قَرَّرَ أَنَّ السَّكُونَ فِي 'عُلْفٍ' إِذَا كَانَ أَصْلِيًّا فَهِيَ جَمْعُ 'أَعْلَفٍ'، وَإِذَا كَانَ سَكُونٌ تَخْفِيفٍ فَهِيَ جَمْعُ 'غِلَافٍ'، وَقَدْ نَصَّ ابْنُ مَالِكٍ عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ التَّسْكِينُ فِي نَحْوِ 'حُمُرٌ' جَمْعُ 'حِمَارٌ' دُونَ ضَرُورَةٍ (159).

والحقّ أنّ هذا التردّد في أصل الجمع مُفضٍ إلى تباينٍ دلاليٍّ مُعجميٍّ، ومن الأمثلة المُجَلِّية لذلك قوله -تعالى-: "وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۖ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (160)، وموضعُ المُباحثَةِ في هذا السِّياقِ الشَّرِيفِ كَلِمَةُ "مَوازِين"؛ ذلك أنّ لها مُفْرَدَيْنِ، أوْلَهُما: "مِيزان"، والمَعْنَى عَلَى هَذَا المَحْمَلِ الآلَةُ الَّتِي يوزَنُ بِهَا، وإِنَّمَا جُمِعَ لِأَنَّ كُلَّ إنسانٍ لَهُ مِيزانٌ يَخْصُهُ، وثانِيَهُما: مَوزُونٌ، والمَعْنَى ههنا مَوزونَاتُهُ، أي: أَعْمالُهُ (161).

عارضُ الإِدغامِ:

والحقّ أنّ هذا عارضٌ صوتيٌّ مُفضٍ إلى تَخَلُّقِ ظاهِرَةِ المُشْتَرَكِ الصَّرْفِيِّ فِي العَرَبِيَّةِ فِي بَعْضِ المَواضِعِ، وَمِنْ ذَلِكَ صَوغُ اسْمِ الفاعِلِ أوِ المَفْعُولِ مِمَّا هُوَ مِنْ قِبَلِ "أَفْتَعَلَ" إِذَا كانَتْ عَيْنُهُ مُدغَمَةً فِي لامِهِ، كَمَا فِي "اغْتَرَّ"، و"امتدَّ"، و"اجترَّ"، و"اشتدَّ"، وَمَا سارَ فِي رِكْبِ ذَلِكَ كَلِمَةً، فَلَيْسَ يَخْفَى أَنَّ المُنْتَجَجَ مِنْ إِدخالِ هَذِهِ الكَلِماتِ فِي قالِبِ اسْمِي الفاعِلِ وَالْمَفْعُولِ واحِدًا فِي صَورَتِهِ النِّهايَّةِ الَّتِي يَسْتَوِي عَلَيْها، وَمِثالُ ذَلِكَ "مُرْتَدَّ" الَّذِي يَلْتَقِي عَلَيْها مَعْنَيانِ صَرْفِيانِ مُتضادَّانِ، أَحَدُهُما اسْمُ الفاعِلِ، وَثانِيَهُما اسْمُ المَفْعُولِ (162)، وَمِمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الباحِثُ فِي التَّنْزِيلِ العَزيزِ الصَّيغَةُ المَسبوكةُ عَلَى وَزْنِ "يُفاعِلُ" مِمَّا عَيْنُهُ وَلامُهُ مُتماثلانِ مِمَّا هُوَ مِنْ نَحْوِ "يُشادُّ"، وَ"يُضارُّ"، وَ"يُحاجُّ"، وَلَوْ أَنَّهُ عُدِلَ إِلى نَوامِيسِ التَّشْكِيلِ؛ تَشْكِيلِ اسْمِ الفاعِلِ وَالْمَفْعُولِ، لاسْتَبْهَمَتِ الصَّيغَةُ المُتَشَكِّلَةُ، فَعَدَّتْ مُتَرَدِّدَةً بَيْنَ المَعْنَيَيْنِ، وَمِنْ ذَلِكَ "المُشادُّ"، وَهِيَ تَرْتَدُّ إِلى بِنِيَتَيْنِ عَمِيقَتَيْنِ هُما: "المُشادد" وَ"المُشادد"، وَعِلَّةُ خَفاءِ هَذِهِ العَلامةِ الفارِقةِ هِيَ العِلَّةُ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكرُها أَنفاً؛ إِذْ إِنَّ إِدغامَ الصَّامَتَيْنِ المُتماثلَيْنِ يُفضِي إِلى تَوَحُّدِ صيغَتِي المَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ وَالْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ فِي صيغَةٍ واحِدَةٍ، وَكَذَلِكَ الحالُ فِي اسْمِ الفاعِلِ واسْمِ المَفْعُولِ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَلِمَةً هُوَ الَّذِي أَذِنَ بِتَرَدِّدِ المُفَسِّرَيْنِ بَيْنَ المَعْنَيَيْنِ الصَّرْفِيَيْنِ المُنْصَوِّبَيْنِ تَحْتَ كَلِمَةِ "يُضارُّ" فِي قَوْلِهِ -تعالى-: (وَلَا يُضارُّ كاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ) (163)، إِذْ إِنَّها بِنِيَّةٌ سَطْحِيَّةٌ مُحتمِلَةٌ، وَقَدْ وَقَعَ تَحْتِها مَعْنَيانِ: وَلَا يُضارُّ، وَلَا يُضارَرُ، فَاتَّحَدَتْ صيغَةُ المَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ "يُضارُّ"، مَعَ صيغَةِ المَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ "يُضارَرُ" مُخَلِّفَةً وَراءَها مُشْتَرِكًا صَرْفِيًّا حَمالًا لِذِلالتَيْنِ، وَالْمَعْنَى الكُلِّيُّ أَنَّهُ نَهَى لِلْكَاتِبِ وَالشَّهِيدِ عَن تَرَكَ الإِجابَةِ إِلى ما يُطَلَبُ مِنْهُما، وَعَن التَّحْرِيفِ وَالزَّيادَةِ وَالنَّقْصانِ. وَقَدْ يَكُونُ المَعْنَى أَلَّا يُضارَرُ الكاتِبُ وَالشَّهِيدُ؛ وَذَلِكَ نَحْوِ أَلَّا يُعْطَى الكاتِبُ حَقَّهُ مِنَ الجُعْلِ، أَوْ أَنَّ يُحْمَلَ الشَّهِيدُ مُؤنَةً مَجيبُهُ مِنْ بَلَدٍ (164)، أَوْ يُعْنَفَا وَيُشَقَّ عَلَيْهِما فِي تَرَكَ أَشْغالِهِما، وَيُطَلَبُ مِنْهُما ما لا يَلِيقُ فِي الكِتابَةِ وَالشَّهادَةِ (165). وَقَدْ ذَهَبَ ابْنُ قُتَيْبَةَ إِلى المَعْنَيَيْنِ (166)، أَمَّا الفَرَّاءُ فَقدَ ذَهَبَ إِلى المَعْنَى: أَلَّا يُدْعَى الكاتِبُ وَهُوَ مَشْغولٌ وَلَا الشَّهِيدُ (167)، وَلَمْ يذَهَبْ إِلى غَيْرِ هَذَا الوَجْهِ، وَلَكِنَّ هَذَا لا يَنْفِي الوَجْهَ الأَخَرَ البَتَّةَ، فَكِلاهِما مُتَقَبَّلٌ فِي سِياقِهِ، وَقَدْ ذَهَبَ إِليهما النُّحَّاسُ أَيضًا (168).

عارضُ الإِبْدالِ وَالقَلْبِ:

القلب ظاهرة صوتية تتجلى في العربية في مواضع متباينة، وقد أفضت هذه الظاهرة في بعض تجلياتها إلى تخلق ظاهرة المشترك الصرفي في القرآن الكريم؛ وذلك نحو قلب الهمزة في كلمة "أتيتك" في قوله الحق: "أنا أتيتك به قبل أن يتردد إليك طرُفك" (169)؛ ذلك أن كلمة "أتيتك" مُحتملة معنيين صرفيين عريضين يترددان بين الاسمِية والفعلِية (170)، فاشتبهت الكلمة لاشتغالها عليهما، فعُدَّت:

- فعلاً مضارعاً وزنه "أفعل"؛ نحو "أضرب"؛ "أتيتك" --: ع-ع-ت-ك-ك-

- واسم فاعل، وزنه "فاعل"، والألف زائدة: أتيتك ---: ع-ت-ك-ك-

ولكن النظام الصوتي في العربية يقتضي إبدال الهمزة الثانية في الفعل ألفاً، فأذن هذا باشتباهها باسم الفعل، فوقع الاشتراك الصرفي المؤذن بتعدد المعاني الصرفية.

ومن المثل المبينة عن أثر الإبدال والقلب في تخلق هذه الظاهرة كلمة "يتسنه" في الآية الشريفة: "وانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه" (171)، فالهاء في بعض الأقوال زائدة في الوقف، وأصله "يتسنن" على هيئة "يتفعل"، بثلاث نونات، فأبدل من الثالثة ألفاً لتكرّر الأمثال، فصار "يتسنى"، ثم حذفت الألف للجزم: "لم يتسن"، ثم جيء بالهاء بياناً لحركة النون في الوقف، والمعنى أن ريحه وطعمه لم يتغير، ويحتمل أن يكون معناه: لم يتغير بممر السنين عليه، أو لم تمر عليه السنوات التي مرت عليه، فهو بحاله كأنه لم يلبث مئة سنة (172)، وفي هذا التوجيه تكون الهاء أصلية غير مطرحة في الوقف أو الوصل، واللفظ مأخوذاً من السنه، فيقال: سانهت النخلة، إذا حملت عاماً وحالت عاماً، وقد رجح الفراء هذا الوجه (173)، وقد ذهب أبو عبيدة إلى تخطئة من عدّها من "الأسن" المتغير، ولو كان ذلك كذلك عنده لكانت: لم يتأسن (174)، والحق أن للعوارض التصريفية التي أتت عليها نصيباً في وقوع هذا الاشتراك الصرفي.

ومما وقع فيه قلب وتسهيل للهمز كلمة "أدنى"؛ وذلك في قول الله -تبارك وتعالى-: "قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير" (175)، والحق أن الاشتراك الصرفي في كلمة "أدنى" باعته مطلبان: أولهما اختلاف الأصل الاشتقائي، وقد تقدم القول على هذا الباعث قبلاً، وثانيهما القلب، وليس القلب ههنا كالقلب السابق، بل هو تقديم صوت وتأخير آخر في الميزان الصرفي، وهذا كله مائل في موضع التمثل "أدنى"، ففيها ثلاثة أقوال:

- أولها: أنها "أفعل" التفضيل من الدنو، وهو القرب، فأصلها "أدنو"، فقلبت الواو ألفاً،

وهذا ترجيح الزجاج والعكبري (176).

- وثانيها: أنها من "أفعل" من الدناءة التي هي الخسة والرداءة، والعارض التصرفي ههنا هو أن الهمزة حُففت بإبدالها ألفاً، فكانت "أدناً"، فصارت: "أدنى".

- وثالثها أنها من "أفعل" من الدون، أي أحط في المنزلة، وأصله "أدون"، فأصل وزنه: أفلع؛ نحو: "أولى لك"، فهو "أفعل" من الويل، أصله: "أويل"، فقلبت، والمعنيان

الأخيران، أعني الدناءة والدون، راجعان إلى معنى واحد، وهو من جهة المعنى - كما يستحسن أبو حيان - أحسن مُقابلةً لقوله: "بالذي هو خير"، ومن جعل "أدنى" بمعنى "أقرب"، لأن "الأدون" و"الأدنا" يُقابلهما الخير، و"الأدنى" يقابله "الأبعد"⁽¹⁷⁷⁾، وإلى هذه المعاني الثلاثة ذهب الفُطَيْي والسَّمِين⁽¹⁷⁸⁾.

عارضُ الحذف:

ومِمَّا يَنصَافُ إلى العوارضِ التَّصْرِيفِيَّةِ حَذْفُ التَّاءِ الْمُضِيِّ إلى تَرَدُّدِ الْفِعْلِ بَيْنَ الْمُضِيِّ والمضارعة؛ وذلك نحو "تَلْطَى"، و"تَمْنَى"، و"تَغِيظُ"، وهذه - فيما يبدو من نظري برآني خاطف - أفعالٌ ماضيةٌ، وَقَدْ تكونُ مضارعةً، والتَّاءُ محذوفةٌ، والمعنى: "تَلْطَى"، و"تَمْنَى"، و"تَغِيظُ"، وَالْحَقُّ أَنَّ السِّيَاقَ الْبِنْيَوِيَّ كَفَيْلٌ أَمِينٌ لِرَفْعِ هَذَا الْاِشْتِبَاهِ الْآتِي مِنَ الْمُشْتَرَكِ الصَّرْفِيِّ، وَمِنَ الشَّوَاهِدِ الْفَاعِلَةِ الدَّلَالَةِ عَلَى تَجَلِّيَاتِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ قَوْلُ الْحَقِّ -تَعَالَى-: "فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ"⁽¹⁷⁹⁾، وَمَوْضِعُ التَّمَثُّلِ عَلَى مَا الْمَبَاحَثَةُ فِيهِ الْفِعْلُ "تَوَلَّوْا"؛ ذَلِكَ أَنَّهُ حَمَالٌ لِمَعْنَيَيْنِ صَرَفِيَّيْنِ، فَقَدْ يَكُونُ مَاضِيًّا، وَبِهَذَا يَنْتَقِرُ أَنْ لَا شَيْءَ مَحذُوفٌ الْبِتَّةِ، وَقَدْ يَكُونُ مُضَارِعًا، فَيَنْتَقِرُ أَنْ تَمَّ تَاءٌ مَحذُوفَةٌ مِنْ أَوْلِهِ، وَالْمَعْنَى: "فَإِنْ تَتَوَلَّوْا"⁽¹⁸⁰⁾، وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْفَهْمِ وَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ مُلْقَى عَلَى عَوَاهِنِهِ، مَفْتُوحًا بِاطْرَادِ، ذَلِكَ أَنْ تَمَّ ضَوَابِطُ لِحذْفِ التَّاءِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: "فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلْطَى"⁽¹⁸¹⁾، فَلَيْسَ يَصِحُّ الْقَوْلُ بِأَنَّ التَّاءَ قَدْ حُذِفَتْ، وَأَنَّ الْفِعْلَ حَمَالٌ لِلْمَعْنَيَيْنِ الصَّرْفِيَّيْنِ: الْمُضِيِّ وَالْمُضَارِعَةِ، وَإِلَّا لَقِيلَ "تَلَطَّطْ"، لِأَنَّ التَّانِيثَ مَعَ الْمَجَازِيِّ وَاجِبٌ إِذَا كَانَ ضَمِيرًا مُتَّصِلًا⁽¹⁸²⁾.

في السَّوَابِقِ وَاللَّوَاقِحِ:

إِنَّ الْحَدِيثَ فِي هَذِهِ الْمَبَاحَثَةِ الْفَرَعِيَّةِ عَن تَجَلِّيِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ فِي نَمَازَجٍ مِنَ السَّوَابِقِ وَاللَّوَاقِحِ التَّصْرِيفِيَّةِ الَّتِي يَتَعَارَفُ عَلَيْهَا أَهْلُ هَذَا النَّظْرِ بِالمورفيماتِ الْمُقَيَّدَةِ، فَقَدْ عُرِفَ المورفيمُ بَأَنَّهُ أَصْغَرُ وَحْدَةٍ لُغَوِيَّةٍ ذَاتِ مَعْنَى؛ إِذْ إِنَّ تَخَلُّقَ الْمَعْنَى لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْوَحْدَةِ الْمُشَخَّصَةِ، وَهُوَ غَيْرُ قَابِلٍ لِلْقِسْمَةِ إِلَى وَحَدَاتٍ مَعْنَوِيَّةٍ أَصْغَرَ مِنْهُ⁽¹⁸³⁾، وَيَرَى أَهْلُ النَّظْرِ اللَّغَوِيِّ مِنَ الْعَرَبِيِّينَ أَنَّهُ يُقَسَّمُ قِسْمَيْنِ: أَوْلُهُمَا المورفيمُ الْحَرَّ "Free Morpheme"، وَهُوَ المورفيمُ الْمُسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ الَّذِي قَدْ يَتَعَيَّنُ مُنْفَرِدًا، وَثَانِيهَا المورفيمُ الْمُقَيَّدُ "Bound Morpheme" -وهو موضعُ التَّمَثُّلِ فِي هَذَا الْمَقَامِ- فَهُوَ الَّذِي لَا يُؤَدِّي دَوْرَهُ الْوِظِيْفِيَّ قَائِمًا بِرَأْسِهِ، بَلْ مُتَّصِلًا بِغَيْرِهِ مِنَ المورفيماتِ، وَمِنْ أَمْتَلَتِهِ الزَّوَادُ كَاللَّوَاقِحِ "Suffixes"، وَالسَّوَابِقِ "Prefixes"⁽¹⁸⁴⁾، وَالْحَقُّ أَنَّ هَذَا مَبْحَثٌ عَرِيضٌ بَابِهِ، كَثِيرَةٌ مَدَاخِلُهُ، مُحْتَاجٌ إِلَى مَبَاحَثَةٍ قَائِمَةٍ بِرَأْسِهَا، وَسَيَكْتَفِي الْبَاحِثُ بِثَلَاثِ مِنْهَا تَمَثُّلاً لِهَذَا الْبَاحِثِ، وَاسْتِشْرَافًا لِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ:

- أَوْلَاهَا: "الأم" التَّعْرِيفِ، وَهِيَ مَورْفِيمٌ سَابِقٌ.
- وَثَانِيَّتُهَا التَّاءُ الدَّاخِلَةُ عَلَى الْأَسْمَاءِ، وَهِيَ مَورْفِيمٌ لَاحِقٌ.

- وثالثتها التاء الداخلة على الفعل المضارع، وهي مورفيم سابق.

أولاً: السابقة المورفيمية لام التعريف

لِنَرْجِعِ الْبَصَرَ فِي الْآيَتَيْنِ الْآتِيَتَيْنِ:

- "الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۗ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ" (185).

- "وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ" (186).

مَوْضِعُ النَّظَرِ فِي الْآيَةِ الْأُولَى كَلِمَةُ "الْحَقِّ"؛ ذَلِكَ أَنَّ "الْحَقَّ" فِيهَا سَابِقَةٌ مُورْفِيمِيَّةٌ مُحْتَمَلَةٌ

لِمَعْنِيَيْنِ: الْعَهْدِ، وَالْجِنْسِ:

- أَمَّا عَلَى الْمَحْمَلِ الْأَوَّلِ فَالْإِشَارَةُ إِلَى الْحَقِّ بِعَيْنِهِ الَّذِي عَلَيْهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ إِلَى الْحَقِّ الْمُخَصَّصِ فِي قَوْلِهِ: "لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ".

- وَأَمَّا عَلَى الْمَحْمَلِ الثَّانِي فَإِنَّهَا لِلْجِنْسِ عَلَى مَعْنَى أَنَّ الْحَقَّ مِنَ اللَّهِ لَا مِنْ غَيْرِهِ، وَإِلَى مَعْنِي اللَّامِ ذَهَبَ الرَّمَخَشَرِيُّ (187).

أَمَّا مَوْضِعُ النَّظَرِ وَالتَّدْبِيرِ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ فَكَلِمَةُ "الْكِتَابِ"، فَقَدْ اخْتَلَفَ فِي دِلَالَةِ السَّابِقَةِ الْمُورْفِيمِيَّةِ "لَامِ التَّعْرِيفِ"، فَهِيَ مُحْتَمَلَةٌ لِلْعَهْدِيَّةِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ كِتَابٌ مُعَيَّنٌ، كَالنُّورَةِ مَثَلًا، وَإِلَى هَذَا الْوَجْهِ الدَّلَالِيِّ جَنَحَ الطَّبْرِيُّ مُرَجِّحًا أَنَّهَا النُّورَةُ الَّتِي أُنزِلَتْ عَلَى مُوسَى، وَحَكَمَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ النَّبِيُّونَ، وَاعْتَمَدُوا عَلَيْهَا؛ كَالْأَسْبَاطِ وَغَيْرِهِمْ (188)، وَهِيَ مُحْتَمَلَةٌ كَذَلِكَ الْجِنْسِيَّةِ؛ وَالْمَعْنَى: الْكُتُبُ (غَيْرِ مُخَصَّصَةٍ)، وَأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ، وَإِلَى الْوَجْهَيْنِ جَنَحَ كُلٌّ مِنْ أَبِي حَيَّانَ، وَالْفَرَطَبِيِّ، وَالسَّمِينِ (189).

ثانيًا: اللاحقة المورفيمية التاء الداخلة على الأسماء:

تُقِيدُ هَذِهِ الْلَّاحِقَةُ مَعَانِي صَرْفِيَّةً مُتَنَوِّعَةً أَتَى ابْنُ يَعِيشَ عَلَى عَشْرَةِ لَهَا فِي شَرْحِ الْمَفْصَلِ (190)، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا قَدْ تَحْمِلُ مَعْنَى الْمُبَالِغَةِ؛ كَمَا فِي "نَسَابَةِ"، وَ"عَلَامَةِ"، وَقَدْ تَحْمِلُ مَعْنَى الْفَرْقِ بَيْنَ الْمُذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ فِي الصِّفَاتِ؛ وَذَلِكَ نَحْوَ "ضَارِبٍ" وَ"ضَارِبَةٍ"، أَوْ الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا فِي الْجِنْسِ؛ نَحْوَ امْرِيٍّ وَامْرَأَةٍ، أَوْ الْفَرْقِ بَيْنَ الْجِنْسِ وَالوَاحِدِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ "قَمْحٌ وَقَمْحَةٌ"، وَنَمْلٌ وَنَمْلَةٌ (191)، وَقَدْ تَدْخُلُ التَّاءُ فِي مَعْنَى النَّسَبِ مِثْلَ الْمَهَالِبَةِ، وَالْأَشَاعِرَةِ، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ تَتَوَزَّعُهَا مَعَانٍ مُشْتَرَكَةٍ، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ:

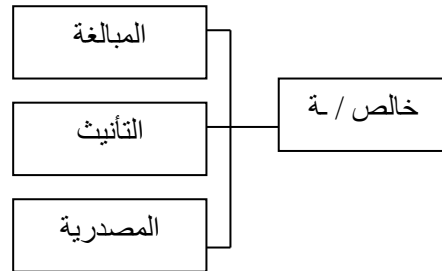
- "وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا" (192).

- "وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ" (193).

- "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنَا" (194).

مَوْضِعُ النَّظْرِ فِي الْآيَةِ الْأُولَى اللَّاحِقَةُ النَّاءِ الدَّاخِلَةُ عَلَى كَلِمَةِ "خَالِصَةً"؛ ذَلِكَ أَنَّهَا مُشْتَرِكٌ صَرْفِيٌّ يَقَعُ تَحْتَهُ مَعَانٍ مُتْبَايِنَةٌ:

- أَوْلُهَا أَنَّهَا لِلْمُبَالَغَةِ؛ كَمَا فِي عِلَامَةٍ وَنَسَابَةٍ، وَهَذَا أَرْجَحُ الْوَجْهِ عِنْدَ الطَّبْرِيِّ كَمَا سَيَأْتِي بَعْدًا.
- وَثَانِيهَا أَنَّهَا لِلتَّأْنِيثِ حَمَلًا عَلَى مَعْنَى "مَا"؛ لِأَنَّهَا تَعَوَّدُ عَلَى "أَجْنَّةٍ"، وَرَجَّحَ الْفِرَاءُ أَنْ تَأْنِيثُهَا لِتَأْنِيثِ الْأَنْعَامِ، وَالْمَعْنَى: الْأَنْعَامُ الَّتِي فِي بُطُونِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا⁽¹⁹⁵⁾.
- وَثَالِثُهَا أَنَّهَا لِلْمَصْدَرِيَّةِ عَلَى وَزْنِ "فَاعِلَةٌ"؛ كَالْعَاقِبَةِ وَالْعَاقِبَةِ، وَمِثْلُهَا فِي التَّنْزِيلِ: "إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةِ دِكْرِي الدَّارِ"⁽¹⁹⁶⁾، وَإِذَا ارْتَضِيَ بِأَنَّهَا مَصْدَرِيَّةٌ كَانَ ذَلِكَ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ، وَالْمَعْنَى: ذُو خُلُوصٍ، أَوْ عَلَى الْمُبَالَغَةِ، أَوْ عَلَى وَقُوعِ الْمَصْدَرِ مَوْقِعَ اسْمِ الْفَاعِلِ⁽¹⁹⁷⁾، وَقَدْ وَقَفَ الطَّبْرِيُّ مُفَصَّلًا بِأَبِ الْقَوْلِ فِي دِلَالَةِ النَّاءِ، مُعْرِجًا عَلَى الْمَعَانِي الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ آنِفًا، مُرْجِّحًا دِلَالَتَهَا عَلَى الْمُبَالَغَةِ، قَائِلًا: "وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي أَنْ يُقَالَ: أُرِيدُ بِذَلِكَ الْمُبَالَغَةَ فِي خُلُوصِ مَا فِي بُطُونِ الْأَنْعَامِ الَّتِي كَانُوا حَرَمُوا مَا فِي بُطُونِهَا عَلَى أَرْوَاجِهِمْ، لِذُكُورِهِمْ دُونَ إِنَائِهِمْ، كَمَا فُعِلَ ذَلِكَ بِالرَّأْوِيَةِ وَالنَّسَابَةِ وَالْعِلَامَةِ، إِذَا أُريدُ بِهَا الْمُبَالَغَةُ فِي وَصْفِ مَنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ صِفَتِهِ"⁽¹⁹⁸⁾:



أَمَّا فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ فَقَدْ كَانَتِ اللَّاحِقَةُ النَّاءِ فِي كَلِمَةِ "غَائِبَةٌ" مُحْتَمِلَةً؛ ذَلِكَ أَنَّهَا لِلْمُبَالَغَةِ، أَوْ كَالنَّاءِ الدَّاخِلَةِ عَلَى الْمَصَادِرِ؛ نَحْوَ الْعَاقِبَةِ، أَوْ النَّاءِ الَّتِي وَصَفَهَا الرَّمَخَشَرِيُّ بِأَنَّهَا نَقَلَتْ الْكَلِمَةَ مِنْ مِضْمَارِ الصِّفَةِ إِلَى الْاسْمِ، وَنَظِيرُهَا النَّطِيحَةُ، وَالرَّمِيَّةُ، وَالدَّبِيحَةُ⁽¹⁹⁹⁾. وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي شَأْنِ النَّاءِ اللَّاحِقَةِ كَلِمَةَ "مَثَابٌ"، فَقَدْ احْتَمَلَتِ الْمَصْدَرِيَّةَ، وَالْمَعْنَى: جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً، أَيُّ: مَرْجِعًا، وَقَدْ احْتَمَلَتْ أَنَّ النَّاءَ دَخَلَتْ لِلْمُبَالَغَةِ لِكَثْرَةِ مَنْ يَثُوبُ، أَيُّ يَرْجِعُ؛ فَهِيَ كَنَسَابَةٍ وَعِلَامَةٍ⁽²⁰⁰⁾، وَقَدْ أَلْمَحَ الطَّبْرِيُّ إِلَى أَنَّ أَهْلَ الْعَرَبِيَّةِ مُخْتَلِفُونَ فِي مَعْنَاهَا، وَالسَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أُتِنَتْ، "قَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْبَصْرَةِ⁽²⁰¹⁾: أُلْحِقْتُ الْهَاءَ فِي الْمَثَابَةِ لَمَّا كَثُرَ مَنْ يَثُوبُ إِلَيْهِ، كَمَا يُقَالُ: سَيَارَةٌ لِمَنْ يَكْثُرُ ذَلِكَ، وَنَسَابَةٌ، وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْكُوفَةِ: بَلِ الْمَثَابُ وَالْمَثَابَةُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، نَظِيرُهُ الْمَقَامُ وَالْمَقَامَةُ؛ دُكِرَ عَلَى قَوْلِهِ لِأَنَّهُ يُرِيدُ بِهِ الْمَوْضِعَ الَّذِي يُقَامُ فِيهِ، وَأُتِنَتْ الْمَقَامَةُ لِأَنَّهُ أُريدُ بِهَا الْبُقْعَةُ، وَأَنْكَرَ هُوَ أَنَّ تَكُونَ الْمَثَابَةُ كَالسِّيَارَةِ وَالنَّسَابَةِ، وَقَالُوا: إِنَّمَا أُدْخِلْتُ الْهَاءَ فِي السِّيَارَةِ وَالنَّسَابَةِ تَشْبِيهًا لَهَا

بِالدَّاعِيَةِ؛ وَالْمَثَابَةُ مَفْعَلَةٌ مِنْ ثَابَ الْقَوْمُ إِلَى الْمَوْضِعِ: إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ، فَهُمْ يَثْبُونَ إِلَيْهِ مَثَابًا وَمَثَابَةٌ وَثَوَابًا، فَمَعْنَى قَوْلِهِ: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ": وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَرْجِعًا لِّلنَّاسِ وَمَعَادًا يَأْتُونَهُ كُلَّ عَامٍ، وَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِ" (202).

ثالثاً: السَّابِقَةُ الْمُورَفِيَّةُ النَّاءُ الدَّاخِلَةُ عَلَى الْأَفْعَالِ الْمُضَارِعَةِ

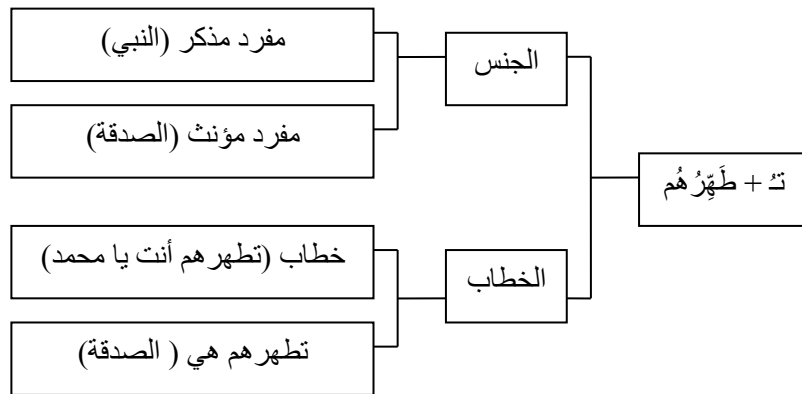
قَدْ يَحْدُثُ أَنْ يَتَصَدَّرَ الْفِعْلُ الْمُضَارِعَ تَاءً فِي حَالِ كَوْنِهِ ذَا دِلَالَةٍ عَلَى مُفْرَدٍ مُخَاطَبٍ مِمَّا هُوَ مِنْ نَحْوِ "تَفْعَلُ"، فَيَعْدُو الْفِعْلُ بَعْدَ دُخُولِ هَذِهِ السَّابِقَةِ غَيْرَ مُعَيَّنٍ لِلْجِنْسِ، مُتْرَدِّدًا بَيْنَ التَّنْكِيرِ وَالتَّنَائِيثِ مِنْ جِهَةٍ، مُحْتَمِلًا الْخِطَابَ وَالْغَيْبَةَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَمِنْ ذَلِكَ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ:

- "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا" (203).
- "وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ" (204).
- "لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَعْيُنٍ" (205).

أَمَّا فِي الْآيَةِ الْأُولَى فَمَوْضِعُ الْمُبَاحَثَةِ وَالتَّأَمُّلِ مَعْنَى الْفِعْلِ الصَّرْفِيِّ بَعْدَ دُخُولِ السَّابِقَةِ النَّاءِ عَلَيْهِ: "تُطَهِّرُهُمْ"، فَقَدْ تَرَدَّدَ الْفِعْلُ بَيْنَ كَوْنِهِ دَالًّا عَلَى الْجِنْسَيْنِ وَالْخِطَابِ وَالْغَيْبَةِ:

- فَالْفِعْلُ "تُطَهِّرُهُمْ" دَالٌّ عَلَى الْمَفْرَدِ الْمُدَكَّرِ مِنْ جِهَةٍ، وَالْمَعْنَى: تُطَهِّرُهُمْ يَا مُحَمَّدُ.
- وَعَلَى الْمَفْرَدِ الْمُؤَنَّثِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَالْمَعْنَى: تُطَهِّرُهُمُ الصَّدَقَةُ.
- وَهُوَ، وَمِنْ وَجْهَةٍ دِلَالِيَّةٍ ثَالِثَةٍ، دَالٌّ عَلَى الْخِطَابِ: تُطَهِّرُهُمْ - أَنْتَ.
- وَمِنْ وَجْهَةٍ رَابِعَةٍ دَالٍّ عَلَى الْغَيْبَةِ، وَالْمَعْنَى: تُطَهِّرُهُمْ - هِيَ.

وَلَيْسَ يَخْفَى أَنَّ التَّبَايْنَ فِي تَعْيِينِ الْمَعَانِي الصَّرْفِيَّةِ مُؤَنِّدٌ فِي تَبَايِنِ الْمَعَانِي النَّحْوِيَّةِ، فَيَجُوزُ فِي جَمَلَتِي "تُطَهِّرُهُمْ" وَ"تُزَكِّيهِمْ" أَنْ تَكُونَ حَالَيْنِ لِلْمُخَاطَبِ الْمَفْرَدِ الْمُدَكَّرِ، وَالتَّقْدِيرُ: خُذْهَا مُطَهِّرًا لَهُمْ وَمُزَكِّيًّا لَهُمْ بِهَا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَتَانِ حَالًا مِنَ الصَّدَقَةِ، وَذَلِكَ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّهَا حَالٌ مِنْ نَكْرَةٍ، وَالْمَعْوَلُ عَلَى هَذَا الْإِعْرَابِ هُوَ عَدُّ الْفِعْلِ صَالِحًا لِلْغَيْبَةِ وَالتَّنَائِيثِ، وَمَذْهَبُ الرَّجَاحِ فِيهَا أَنَّ الْأَجُودَ أَنْ تَكُونَ الْمُخَاطَبَةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (المفرد المذكر المخاطب)؛ أَي: قَاتِكَ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا (206):



أما في الآية الوسطى فقد احتملت احتمال سابقتها، فتردد الفعل "تَحَلُّ" ، نظراً لِدخول السابقة التاء عليه، وصيرورته على هذه الهيئة المشتركة، بين معانٍ صرفيةٍ أولها أنه للمفرد المُذَكَّرِ المُخاطَبِ، فالتاء على هذا المحملِ لِلخِطَابِ، والمعنى: تَحَلَّ أَنْتَ -والخِطَابُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ بِجَيْشِكَ، وثانيها أنه للمفردِ المؤنَّثِ الغائبِ، والمعنى: تَحَلَّ القارعةُ، وهو الأظهرُ عندَ أبي حَيَّانَ (207)، أما عندَ ابنِ الأَبارِيِّ والعَبرِيِّ فَالدِّلالَتانِ مُتَقَبَّلَتانِ على حدِّ سِوَاِ (208).

أما في الآية الثالثة فقد احتمل الفعل الداخِلُ عليه السابقة التاء معنيين من جهتين مختلفتين: أولهما التذكير والتأنيث، أما التذكير فعلى تقدير: لا تسمع أنت. وأما التأنيث فعلى معنى "لا تسمع الوجوه"، وقد تقدّم لها ذكرٌ. وثانيتهما: الخطاب والغيبه، أما الخطاب فعلى تقدير: تسمع أنت، وأما الغيبة فعلى تقدير: تسمع هي (209).

المُوجَّهاتُ الكَلِيَّةُ:

وبعد، فما تقدّم قبلاً كان مُشتملاً على عُنواناتٍ فرعيةٍ يقع تحتها أمثلةٌ مُجَلِّيةٌ لهذه الظاهرة عامّةً، وموضوعِ العُنوانِ الفرعيّ خاصّةً، ولعلّ الذي يحسنُ بعدَ ذلك كَلِمَةُ التَّعْرِيجِ على صَفْوَةِ المُستَخْلَصِ من هذه المُباحثَةِ، لتقريرِ مجموعةٍ من المُوجَّهاتِ الكَلِيَّةِ التي تُنبئني على الأمثلةِ الجُزئيةِ المُتقدِّمِ بيائها وعرضها.

أما أولها فاستدراكٌ مضمونه أن ظاهرة المُشتركِ الصَّرْفِيِّ في العَرَبِيَّةِ لَيْسَتْ مَقْصُورَةً على مضمارِ هذه المُباحثَةِ، وإنما هي ظاهرةٌ تتجلى في نصوصِ العَرَبِيَّةِ إن شِعْرًا، وإن نَثْرًا، كما أنها ظاهرةٌ لغويّةٌ عامّةٌ تصدقُ على كلِّ اللُّغاتِ، فَلَيْسَتْ العَرَبِيَّةُ بِدَعَا في هذه الجِهَةِ، فَالعلاماتُ الواحدةُ لها في العادةِ أكثرُ من قيمةٍ، وهُنَاكَ علاماتٌ كثيرةٌ للتعبيرِ عن كُلِّ قِيَمَةٍ، وهذا يصدّقُ على كلِّ اللُّغاتِ (210).

وأما ثانيها فالتفاتُ المُصنِّعِينَ من مُفسِّرينِ ولغويينِ لهذه الظاهرة، فقد تبينَ في ثنِيِ مباحثاتٍ فائتاتٍ وقوفهم عليها وقوفَ المُدقِّقِ المُتَبَصِّرِ، مُستشرفينِ دِلالاتِها، مُلمحينِ إلى تجاورِ المعاني التي تقع تحت الصيغةِ الصَّرْفِيَّةِ الواحدةِ في الكثيرِ الغالبِ، ومنهم من كان يَرْتَضِي وَجْهًا دِلاليًا واحدًا من وجوهِ دِلالةِ الصِّيغَةِ الواحدةِ، ومنهم من كان يَرْتَضِي وَجْهًا آخَرَ من وجوهِ دِلالةِ الصِّيغَةِ نَفْسِها، ومنهم من كان يَرْتَضِي وَجْهَيْنِ أو الثلاثةِ دونَ تَرْجِيحِ واحدٍ على آخَرٍ في الصِّيغَةِ تلكِ، إقرارًا بتجاورِ معاني الصِّيغَةِ الواحدةِ على حدِّ سِوَاِ، وتَعْوِيلًا على فضلِ السِّياقِ الذي لا يَأْبَى تِلْكَ المعاني مُجتمعةً.

وأما ثالثها فبيانُ مفاده أن لهذه الظاهرة في بعضِ أمثلتها نصيبًا جليًا أمره في تعددِ الوجوهِ الإعرابيةِ والمعجميةِ، ولعلّ هذا يُفْضِي إلى القولِ ثانياً وثالثاً إنَّ لِلْبِنِيَةِ الصَّرْفِيَّةِ يدًا في تَوجِيهِ المعاني التَّحْوِيَّةِ من جهةٍ، وَالمُعْجَمِيَّةِ من جهةٍ أُخْرَى، فما تعدَّدَ معاني الصِّيغَةِ الصَّرْفِيَّةِ

الواحدة في سياقها الشريف إلا من البواعث المُفضية إلى تعدد الوجوه الإعرابية للكلمة التي أودعت في تلك الصيغة، وما الحديث عن ارتداد الكلمة إلى أصلين اشتقاقيين إلا باب من القول على دلالة مُعجمية باعثها هذه الظاهرة، ومثال ذلك التردد في إعراب "نُفورا" في الآية "ولوا على أدبارهم نُفورا"⁽²¹¹⁾ بين معنيين نحويين، وموجه هذا التردد دلالة صيغة "فُعول" الصرفية، فإذا ما كانت جمعا لنافر؛ كقولنا: "قاعد: فُعود، وجالس: جُلوس"، فإن المعنى الذي تُرشحه هذه الصيغة هو الحال؛ كقولنا: "ولوا نافرين ومُسرعين، وإذا ما عددناها مصدرًا؛ كقولنا: "نفر نُفورا، وظهر ظُهورًا" فإن الأليق بالإعراب هو المفعول المطلق⁽²¹²⁾.

وأما رابعها فالماحة إلى أن من البواعث التي أفضت إلى تخلق هذه الظاهرة في التنزيل العزيز رعاية الفاصلة القرآنية، وقد التفت أبو حيان بروية ولطف نظر إلى هذا الملحظ لما رجح أن علة اختيار صيغة "الفُعول: السُجود" هو رعاية الفاصلة، وتعالفها بما قبلها من جمع تكسير، فقد جمعا جمع تكسير (الركع والسُجود) لمقابلتهما ما قبلهما من جمعي السلامة (الطائفين والعاكفين)، فقال في عبارة مُعجبة مُبينة -وقد تقدم ذلك قبلاً-: "فكان ذلك تنويعا في الفصاحة، وكان آخرهما على وزن "فُعول" لا على "فُعَل" لأجل كونها فاصلة"، ومثله السمين الذي صرح بأن رعاية الفاصلة كان لها يد في تخلق هذه الظاهرة، وتعدّد معاني صيغة "فُعول" في قول الحق -تقدّس اسمه-: "واجعلنا للمتقين إماما"؛ ذلك أن رؤوس الفواصل هي: "كراما"، و"إماما"، "مقاما"، "لزاما"، فقال: "إنه مُفردٌ، وجاء به مُفردًا إرادةً للجنس، وحسنه كونه رأس فاصلة"⁽²¹³⁾.

وأما خامسها فملحظ بلاغي مُستحسن ينبعث من تعدّد معاني الصيغة الواحدة، فقد تلتقي دلالاتها على معنى كُلّي يفضي إلى تأكيد دلالة السياق الكلية، فيكون ثمّ انفتاح دلالي مقصود أرادَه الحقّ جلّ في علاه، وقد تقدّم إلماحات تختصّ بهذا الملحظ المُعجب في هذه المُباحثة، ومنها أن صيغة "مُفعل: مَحِيض" في سياقها الشريف حملت ثلاثة معانٍ معًا، وهي المكان والزمان والمصدر، وكان المقصد الكلي الاعتزال الكلي لهذا الأذى في زمان الحيض، ومكانه، وحديثه، ولذا أزدف الحقّ -جلّ في علاه- تشريعه وتحريمه بقوله: "والله يُحبُّ التوابين ويُحبُّ المُتطهرين"⁽²¹⁴⁾.

وأما سادسها ففاتحة؛ إذ إن المَبثوث في هذه الورقة قليلٌ قلّة ظاهرة من كثيرٍ كثرة ضافية، ولذا فإن هذه المُباحثة مُتاحة إلى استكمال وتخصيص؛ استكمال لمواضع هذه الظاهرة وبواعثها في التنزيل العزيز، وتخصيص مُباحثاتٍ أخرى لأمثلتها؛ كعقد مُباحثة في صيغة واحدة، أو عارضٍ تصريفيٍّ واحدٍ، وهكذا دواليك.

وبعد، فهذه مُباحثة تردّد الباحث فيها بين ثلاثة أقطاب: أولها تلمس ظاهرة المُشترك الصرفي، وثانيها تعيين مضمار التلمس، وهو التنزيل العزيز، وثالثها منحى هذه المُباحثة المُشمّل على أنظارٍ وصفية، وتحليلية، ودلالية، ومن أظهر ما عرّج عليه من مواضع المُشترك

الصَّرْفِيّ وَبَوَاعِثُهُ تَنَابُؤُ الصَّيْغِ وَاشْتِرَاكُهَا أَوَّلًا، وَتَعَدُّدُ مَعَانِي صَيْغِ الْأَفْعَالِ ثَانِيًا، وَاخْتِلَافُ أَصْلِ الْكَلِمَةِ الْأَشْتِقَاقِيّ ثَالِثًا، وَسُهُمَةُ الْعَوَارِضِ التَّصْرِيفِيَّةِ فِي تَخْلُقِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ رَابِعًا؛ كَالِإِبْدَالِ، وَالْقَلْبِ، وَالْحَذْفِ، وَالْجَمْعِ، وَتَعَدُّدُ مَعَانِي بَعْضِ السَّوَابِقِ وَاللَّوَاقِحِ التَّصْرِيفِيَّةِ خَامِسًا، وَمُوجِّهَاتٍ كَلِيَّةٍ تَنْبِيْ عَلَى الْمُثَلِّ الْجَزِيئِيَّةِ سَادِسًا.

المصادر والمراجع

- إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م.
- الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (215هـ)، معاني القرآن، تحقيق هدى قراعة، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م.
- الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن (686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م.
- ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (577هـ)، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1980م.
- ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (328هـ)، الأضداد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1987م.
- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د.ت).
- توفيق شاهين، المشترك اللغوي: نظرية و تطبيقاً، ط1، مطبعة الدعوة الإسلامية، القاهرة، 1980م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (392هـ)، المنصف، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ط1، إدارة إحياء التراث القديم، القاهرة، 1960م.
- أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف (745هـ)، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، تحقيق أحمد مطلوب، خديجة الحديثي، وزارة الأوقاف، بغداد، 1977م.
- أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف (745هـ)، تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.
- الراغب، أبو القاسم حسين بن محمد (502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد الكيلاني، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1961م.
- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (384هـ)، معاني الحروف، تحقيق عبد الفتاح شلبي، ط2، مكتبة الطالب الجامعي، السعودية، 1986م.

- الزجاج، إبراهيم بن السري(311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، 2003م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر(538هـ)، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط1، دار الفكر، القاهرة، 1977م.
- السجستاني، أبو بكر محمد بن عزيز(330هـ)، نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز، تحقيق يوسف المرعشلي، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1990م.
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل(316هـ)، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف(756هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق علي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان(180هـ)، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل(458هـ)، المخصص، المكتب التجاري، بيروت، د.ت.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(911هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة، (د.ت).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(911هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
- الطبري، محمد بن جرير(310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.
- عبد الحليم عبد الباسط، صيغة "أفعل" في النحو العربي: دلالتها ووظيفتها، دار العلوم، القاهرة، رقمها(279).
- عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2001م.
- عبد الفتاح الحموز، ظاهرة التعويض في العربية وما حمل عليهما من مسائل، ط1، دار عمار، عمان، 1987م.
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى(210هـ)، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين، محمد الخانجي، القاهرة، 1962م.

- ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن (669هـ)، الممتع الكبير في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، ط8، مكتبة لبنان، بيروت، 1996م.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب (546هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام محمد، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.
- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (616هـ)، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي البجاوي، ط2، دار الجيل، بيروت، 1987م.
- علي طلب، صيغة فعيل واستعمالاتها في القرآن الكريم، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1987م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (395هـ)، الصحاح في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر الطباع، ط1، مكتبة المعارف، بيروت 1993م.
- فاضل الساقى، الزمن الصرفي والزمن النحوي في اللغة العربية، الضاد، جزء 3، كانون الثاني، بغداد، 1989م.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (207هـ)، معاني القرآن، تحقيق أحمد نجاتي، ومحمد النجار، الدار المصرية، القاهرة، 1955م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (276هـ)، أدب الكاتب، شرح على فاعور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (276هـ)، تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.
- القرطبي، محمد بن أحمد (671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ط5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.
- كريستل، دافيد، التعريف بعلم اللغة، ترجمة حلمي خليل، ط1، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1979م.
- لطيفة النجار، دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتلقيدها، ط1، دار البشير، عمان، 1994م.
- مالك المطلبي، اللغة والزمن، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1986م.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (285هـ)، المقتضب، تحقيق محمد عضيمة، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1968م.
- محمود ياقوت، ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985م.
- مكى بن أبي طالب (437هـ)، مشكل إعراب القرآن، تحقيق حاتم الضامن، وزارة الإعلام، بغداد، 1975م.

- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم(711هـ)، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- مهدي عرار، انفتاح الدلالة في النص القرآني الشريف وجه من وجوه الإعجاز المعجب، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، العدد 27، 2002م.
- مهدي عرار، جدل اللفظ والمعنى: دراسة في دلالة الكلمة العربية، دار وائل، عمان، 2002م.
- مهدي عرار، ظاهرة تعدد المعاني الصرفية في العربية: المواضع والبواعث، مقبول للنشر في المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، 2009م.
- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (338هـ)، إعراب القرآن، تحقيق زهير زاهد، ط3، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، بيروت، 1988م.
- ابن الهائم، أبو العباس أحمد بن محمد(815هـ)، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة، طنطا، 1992م.
- ابن هشام، جمال الدين بن هشام(761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق مازن المبارك، ومحمد حمد الله، ط2، مكتبة سيد الشهداء، (د.ن)، 1972م.
- ابن يعيش، موفق الدين(643هـ)، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).
- Crystal, D., A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Blackwell Publishers, Massachusetts, U.S.A. 1991.
- Jackson, H., Words and their Meaning, Longman, London, 1991.
- Katamba, F., An Introduction to Phonology, Longman, New York, 1989.
- Katamba, F., Morphology, The Macmillan Press, London, 1993.
- Robins, R.H., General Linguistics, Longman, New York, 1989.

(1) قبلت للنشر في المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، 2009م.

(2) الآية (طه، 58).

(3) الآية (طه، 59).

(4) انظر: الزمخشري، الكشاف، 541/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 335/6، والسمين، الدر المصون، 30/5، وابن هشام، المغني، 776/2، وقد رجح الزمخشري والعكبري كونها مصدرا. انظر: التبيان، 893/2.

(5) الآية (الإسراء، 6).

(6) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 10/6، والسمين، الدر المصون، 372/4.

(7) الآية (يوسف، 84).

(8) انظر: القرطبي، الجامع، 163/9.

- (9) الآية (القلم، 48).
- (10) انظر: القرطبي، الجامع، 163/9.
- (11) انظر: الطبري، جامع البيان، 276/7، والقرطبي، الجامع، 163/9، وأبو حيان، البحر المحيط، 333/5، والسمين، الدر المصون، 209/4.
- (12) الآية (ياسين، 43).
- (13) انظر: القرطبي، الجامع، 25/15.
- (14) الآية (التوبة، 37).
- (15) انظر: الطبري، جامع البيان، 368/6، وإلى هذين المعنيين ذهب كل من القرطبي، الجامع، 89/8، وأبي حيان، البحر المحيط، 42/5، والسمين، الدر المصون، 462/3.
- (16) الآية (يوسف، 80).
- (17) انظر: الطبري، جامع البيان، 269/7.
- (18) انظر: الطبري، جامع البيان، 269/7، وابن الأثير، البيان، 35/2، وأول العكبري المعنى بأنه واحد في موضع الجمع، أي أنجبية، كما قال -تعالى-: "ثم نخرجكم طفلاً". انظر: العكبري، التبيان، 741/2.
- (19) الآية (الفرقان، 1).
- (20) انظر هذين الوجهين: أبو حيان، البحر المحيط، 440/6، والسمين، الدر المصون، 241/5.
- (21) الآية (هود، 41).
- (22) انظر: الطبري، جامع البيان، 44/7.
- (23) ذكر هذه الأقوال الثلاثة الطبري، جامع البيان، 44-45/7، وأبو حيان، البحر المحيط، 226/5، والسمين الحلبي، الدر المصون، 99/4.
- (24) الآية (إبراهيم، 14).
- (25) انظر: انظر: الفراء، معاني القرآن، 71/2.
- (26) انظر: انظر: الفراء، معاني القرآن، 71/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 401/5، والسمين، الدر المصون، 256/4.
- (27) الآية (التوبة، 6).
- (28) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 13، والسمين الحلبي، الدر المصون، 445/3.
- (29) الآية (البقرة، 222).
- (30) انظر: الزمخشري، الكشاف، 361/1، وكذلك ابن عطية في المحرر الوجيز، 298/1.
- (31) انظر: العكبري، التبيان، 178/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 176/2، والسمين، الدر المصون، 542/1.
- (32) الآية (البقرة، 222).
- (33) الآية (البقرة، 60).
- (34) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 391/1.
- (35) الآية (هود، 81).

- (36) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 249/5، والسمين الحلبي، الدر المصون، 121/4.
- (37) الآية (الطارق، 6).
- (38) انظر ما قيل فيها: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 239/5، ومذهبه فيها أنها اسم مفعول، والقرطبي، الجامع، 5/20.
- (39) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، 465/5، وأبو حيان، البحر المحيط، 449/8، والسمين الحلبي، الدر المصون، 507/6.
- (40) الآية (القصص، 57).
- (41) انظر: العكبري، التبيان، 1023/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 121/7، واكتفى بالقول: "ووصف الحرم بالأمن مجاز"، والسمين، الدر المصون، 349/5، وفي الكشف: "إسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة، وإلى الحرم مجاز"، 185/3.
- (42) الآية (هود، 43).
- (43) انظر: الفراء، معاني القرآن، 15/2، وابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، 204، والمعنى عنده: "معصوم"، وابن عزيز، النزهة، 326، وابن الهائم، التبيان، 234، والمعنى عنده: "لا مانع"، والزمخشري، الكشف، 271/2، وأبو حيان، البحر، 227/5، وابن منظور، اللسان، مادة "عصم".
- (44) انظر: ابن فارس، الصحابي، 236، وابن السراج، الأصول، 149/3، وابن يعيش، شرح المفصل، 52/6، والأستراباذي، شرح الشافية، 168/1، والسيوطي، المزهرة، 246/2، وقد عقد بابا وسمه بباب ذكر المصادر التي جاءت على مثال مفعول.
- (45) الآية (الإسراء، 45).
- (46) انظر: ابن عزيز، نزهة القلوب، 404.
- (47) انظر: القرطبي، الجامع، 176/10.
- (48) أحسب أنه يعني الأخفش من أهل البصرة، فالكلام له في معاني القرآن، 424/2، وانظر: الطبري، جامع البيان، 86/8، وإلى الوجهين ذهب النحاس، إعراب القرآن، 426/2، وابن فارس، الصحابي، 237، وابن الأثير، البيان، 74/2، والعكبري، التبيان، 823/2.
- (49) الآية (الإسراء، 101).
- (50) انظر: الطبري، جامع البيان، 158/8، والقرطبي، الجامع، 218/10، واكتفى النحاس والزمخشري بالمفعول، إعراب القرآن، 443/2، والكشاف، 468/2، وإلى الوجهين ذهب أبو حيان، البحر المحيط، 83/6، والسمين الحلبي، الدر المصون، 424/4.
- (51) الآية (مريم، 61).
- (52) انظر: الراغب، المفردات، 9، وابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، 274، وابن عزيز، النزهة، 405، وقد عده اسم فاعل "أتيا"، وقال الفراء فيه: "ولم يقل أتيا، فكل ما أتاك فأنت تأتية". انظر: معاني القرآن، 170/2، والزمخشري، الكشف، 515/2، وأبو حيان، البحر، 191/6، وابن منظور، اللسان، مادة "أ ت ي"، وقد جوزوا الوجهين.
- (53) انظر: الراغب، المفردات، 9.

- (54) صنف باحث رسالة ماجستير في هذه الصيغة، وهو عبد الحليم عبد الباسط، صيغة "أفعل" في النحو العربي: دلالتها ووظيفتها، دار العلوم، القاهرة، رقمها (279).
- (55) انظر: المبرد، المقتضب، 246/3، والأسترباذي، شرح الشافية، 524/3، وقد أشار الرضي إلى أنه يؤول باسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة.
- (56) الآية (الكهف، 12).
- (57) انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 221/3، والعكبري، التبيان، 839/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 101-100/6، وقد اختاروا الوجهين، واختار الزمخشري وابن عطية وابن الأنباري أن تكون فعلا ماضيا، انظر: الزمخشري، الكشاف، 475/2، وابن عطية، المحرر الوجيز، 254/3، وابن الأنباري، البيان، 82/2.
- (58) انظر: ابن الأنباري، البيان، 82/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 101/6.
- (59) الآية (الإسراء، 9).
- (60) الآية (الإسراء، 47).
- (61) الآية (النجم، 30).
- (62) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 12/6.
- (63) انظر: الزمخشري الكشاف، 439/2.
- (64) الآية (ياسين، 72).
- (65) عقد ابن سيده بابا من القول على "فعلول بمعنى مفعول" في المخصص، 149/16، وقد عد ابن الأنباري طائفة من الكلم التي جاءت على وزن فعلول من الأضداد، انظر: الأضداد، 357-356.
- (66) انظر ما قاله: الزمخشري، الكشاف، 330/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 331/7، والسمين الحلبي، الدر المصون، 492/5، وأضاف العكبري وجها ثالثا، وهو أنها على النسب، والمعنى: ذو ركوبهم، انظر: العكبري، التبيان، 1086/2.
- (67) الآية (هود، 90).
- (68) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 255/5، والسمين الحلبي، الدر المصون، 125/4.
- (69) الآية (النبأ، 21).
- (70) انظر: القرطبي، الجامع، 116/19، وأبو حيان، البحر المحيط، 405/8.
- (71) الآية (غافر، 47).
- (72) انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 129/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 449/7، والسمين، الدر المصون، 45/6، واكتفى العكبري بعدها مصدرا في موضع اسم الفاعل، التبيان، 1121/2.
- (73) انظر: الطبري، جامع البيان، 68/11.
- (74) الآية (البقرة، 53).
- (75) انظر: السمين، الدر المصون، 225/1.
- (76) انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 122/1، والزمخشري، الكشاف، 281/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 360/1.
- (77) انظر: الزمخشري، الكشاف، 281/1.

- (78) الآية (البقرة، 36).
- (79) انظر: الطبري، جامع البيان، 279/1، والقرطبي، الجامع، 219/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 311/1، والسمين الحلبي، الدر المصون، 195/1.
- (80) الآية (هود، 6).
- (81) انظر: الطبري، جامع البيان، 4/7، والقرطبي، الجامع، 7/9.
- (82) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 205/5، والسمين، الدر المصون، 80/4.
- (83) الآية (الإسراء، 80).
- (84) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 72/6.
- (85) الآية (ص، 42).
- (86) انظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن، 185/2، وابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، 380، وابن عزيز، نزهة القلوب، 432، والراغب، المفردات، 202، وأبو حيان، تحفة الأريب، 198، والبحر، 384/7، وابن الهائم، التبيان، 360، وابن منظور، اللسان، مادة "غ س ل"، وقد ذكروا كلهم أن هذه الصيغة مترددة بين ذينك المعنيين.
- (87) انظر معاني "أفعل": سيوييه، الكتاب، 62-59/4، وابن قتيبة، أدب الكاتب، 301-302، والأستراباذي، شرح الشافية، 83/1، وابن عصفور، الممتع، 128-127، والسيوطي، الهمع، 265/3.
- (88) انظر: ابن قتيبة، أدب الكاتب، 295.
- (89) الآية (النجم، 48).
- (90) انظر: الطبري، جامع البيان، 536/11، والقرطبي، الجامع، 77/17، وأبو حيان، البحر المحيط، 439/5، وكلهم ذهبوا إلى المعنيين.
- (91) انظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن، 264، وابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، 430، والسجستاني، نزهة القلوب، 103، والزمخشري، الكشاف، 34/4.
- (92) الآية (يوسف، 31).
- (93) انظر ما قاله فيها: الطبري، جامع البيان، 203/7، والقرطبي، الجامع، 118/9، وأبو حيان، البحر المحيط، 302/5.
- (94) الآية (الحجر، 22).
- (95) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 439/5.
- (96) انظر: القرطبي، الجامع، 14/10، وأبو حيان، البحر المحيط، 439/5.
- (97) انظر: الطبري، جامع البيان، 506/7، وأبو حيان، البحر المحيط، 439/5.
- (98) انظر معاني "فاعل": سيوييه، الكتاب، 68/4، وابن السراج، الأصول، 119/3، وابن فارس، الصحابي، 225، وابن يعيش، شرح المفصل، 159/7، والأستراباذي، شرح الشافية، 96/1، وابن عصفور، الممتع، 128، والسيوطي، الهمع، 267/3.
- (99) الآية (الأعراف، 21).
- (100) انظر: القرطبي، الجامع، 116/7، وأبو حيان، البحر المحيط، 280/4.
- (101) انظر: الزمخشري، الكشاف، 73/2، والسمين، الدر المصون، 248/3.

- (102) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 280/4، والسمين، الدر المصون، 248/3.
- (103) الآية (البقرة، 9).
- (104) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 114/1.
- (105) انظر: الزمخشري، الكشاف، 172/1.
- (106) انظر: الزمخشري، الكشاف، 173/1.
- (107) انظر: الطبري، جامع البيان، 152/1.
- (108) انظر معاني "استعمل": سيبويه، الكتاب، 70/4، وابن قتيبة، أدب الكاتب، 305-306، وابن السراج، الأصول، 128-127/3، وابن فارس، الصحابي، 226، وابن جني، المنصف، 77/1، وابن يعيش، شرح المفصل، 161/7، والأسترابادي، شرح الشافية، 110/1، وابن عصفور، الممتع، 132، والسيوطي، الهمع، 229/3.
- (109) الآية (الصافات، 14).
- (110) إلى هذين المعنيين جنح الزمخشري في الكشاف، 337/3.
- (111) انظر: القرطبي، الجامع، 48/15.
- (112) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 340/7.
- (113) انظر: القرطبي، الجامع، 48/15.
- (114) انظر: الطبري، جامع البيان، 477/10.
- (115) الآية (الأعراف، 116).
- (116) انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 297/2، والسمين، الدر المصون، 321/3.
- (117) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 361/4، والحق أن أبا البقاء لم يقل ذلك، بل جاء بالمعنيين معا، انظر: العكبري، التبيان، 588/1.
- (118) الآية (الأعراف، 75).
- (119) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 332/4.
- (120) انظر: السمين، الدر المصون، 294/3.
- (121) الآية (الأعراف، 22).
- (122) انظر: الطبري، جامع البيان، 451/5.
- (123) انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "د ل و"، وقد ذكر المعنيين: "د ل و"، و"د ل ل".
- (124) انظر: القرطبي، الجامع، 116/7، وابن منظور، اللسان، مادة "د ل و".
- (125) انظر: السمين، الدر المصون، 250/2.
- (126) الآية (الأحزاب، 33).
- (127) انظر: ابن الأثير، البيان، 223/2، والعكبري، التبيان، 1056/2، والقرطبي، الجامع، 117/14.
- (128) انظر: الطبري، جامع البيان، 294/10.
- (129) الآية (البقرة، 111).
- (130) انظر: السمين، الدر المصون، 344/1.
- (131) الآية (البقرة، 124).

- (132) انظر: السمين، الدر المصون، 361/1.
- (133) الآية (الكهف، 45).
- (134) انظر ما قيل فيها: السجستاني، نزهة القلوب، 237، والقرطبي، الجامع، 74/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 543/1، والسمين، الدر المصون، 361/1.
- (135) الآية (البقرة، 196).
- (136) انظر ما قيل فيها: أبو حيان، البحر، 85/2، والسمين، الدر المصون، 487/1.
- (137) انظر: ابن منظور، اللسان، مادة "نذر".
- (138) الآية (البقرة، 125).
- (139) هذا مذهب الأخفش في معاني القرآن، 155/1.
- (140) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 554/1، والسمين، الدر المصون، 366/1.
- (141) الآية (النور، 43).
- (142) الآية (الفرقان، 74).
- (143) الآية (الزخرف، 18).
- (144) انظر: العكبري، التبيان، 813/2 (ذكر احتمالها الوجهين في موضع آخر)، وأبو حيان، البحر المحيط، 427/6، والسمين، الدر المصون، 505/1، 225/5، واكتفى النحاس بدلالاتها على الجمع في إعراب القرآن، 142/3.
- (145) الآية (السجدة، 24).
- (146) انظر: الأخفش، معاني القرآن، 459/2، والقرطبي، الجامع، 56/13، وأبو حيان، البحر المحيط، 474/6، والسمين، الدر المصون، 266/5، وقد ذكر الثلاثة الآخرون المعنيين.
- (147) انظر: ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، 397، وقد أشار ابن الأنباري في موضع آخر، وهو قوله: "وهو ألد الخصام" إلى هذين المعنيين. انظر: البيان، 148/1.
- (148) الآية (التوبة، 109).
- (149) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 103/5، والسمين، الدر المصون، 504/3.
- (150) الآية (الإسراء، 47).
- (151) انظر: الطبري، جامع البيان، 87/8، ولعله يعني الأخفش، فالكلام له في معاني القرآن، 425/2، واقتصر على هذا الوجه الزجاج في معاني القرآن، 199/3.
- (152) انظر ما قاله فيها: ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، 255، والزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 199/3، وابن الأنباري، البيان، 74/2، والعكبري، التبيان، 824/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 40/6.
- (153) الآية (البقرة، 243).
- (154) انظر: الزمخشري، الكشاف، 377/1، والسمين، الدر المصون، 593/1.
- (155) انظر: الزمخشري، الكشاف، 377/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 259/2، والسمين، الدر المصون، 593/1.
- (156) الآية (البقرة، 88).
- (157) انظر: السمين، الدر المصون، 295/1.

- (158) الآية (فصلت، 5).
- (159) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 469/1، وانظر ما قاله الزجاج في معاني القرآن، 150/1.
- (160) الآية (الأعراف، 8).
- (161) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 271/4، والسمين، الدر المصون، 237/3.
- (162) يقول ابن الأنباري: "واستوى اللفظان من أجل الإدغام" انظر: الأضداد، 410.
- (163) الآية (البقرة، 282).
- (164) انظر: الزمخشري، الكشاف، 404/1.
- (165) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 370/2.
- (166) انظر: ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، 100.
- (167) انظر: الفراء، معاني القرآن، 187/1.
- (168) انظر: النحاس، إعراب القرآن، 346/1.
- (169) الآية (النمل، 40).
- (170) انظر: السمين، الدر المصون، 314/5.
- (171) الآية (البقرة، 259).
- (172) انظر: الزمخشري، الكشاف، 390/1.
- (173) انظر: الفراء، معاني القرآن، 172/1، والمعنى عنده: لم تغيره السنون، ومن وصله بغير هاء جعله من المساناة، لأن "لام" سنة تعتقب عليها الهاء والواو، فتكون الهاء في هذه الحال زائدة.
- (174) انظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن، 80/1، وانظر فيما قيل فيها: الأخفش، معاني القرآن، 197-198، وابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، 94-95، وابن عزيز، نزهة القلوب، 484، والنحاس، إعراب القرآن، 332/1، ومكي، مشكل إعراب القرآن، 138، وابن الأنباري، البيان، 171/1، والزمخشري، الكشاف، 390/1، والعكبري، التبيان، 209/1، وابن الهائم، التبيان، 137، وابن منظور، اللسان، مادة "س ن ن".
- (175) الآية (البقرة، 61).
- (176) انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 130/1، وقد ذكر وجهين قائلًا: "وكلاهما له وجه في اللغة"، والعكبري، التبيان، 68/1.
- (177) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 396/1.
- (178) انظر: القرطبي، الجامع، 290/1، والسمين، الدر المصون، 241/1، وإلى المعنيين الأولين ذهب الزجاج في معاني القرآن، 130/1.
- (179) الآية (آل عمران، 63).
- (180) انظر: النحاس، إعراب القرآن، 383/1، والعكبري، التبيان، 268/1، وقد ضعف العكبري كونه مستقبلاً لأن حرف المضارعة لا يحذف، وهذا وهم صريح رد عليه ابن هشام، والأمثلة المتقدمة تفند رأي العكبري. انظر: ابن هشام، المغني، 808/2.
- (181) الآية (الليل، 14).
- (182) انظر: ابن هشام، المغني، 741/2.

- (183) انظر تعريفه: كريستل، التعريف بعلم اللغة، 161، وانظر: Katamba, Morphology, P.19, Robins, General Linguistics, P.192, Nida, Morphology, P. 6.
- (184) انظر:
- Katamba, Ibid, P. 41-46, Robins, Ibid, P. 196, 202, Nida, Ibid , P. 81, Crystal, A Dictionary, P. 223.
- (185) الآية (البقرة، 147).
- (186) الآية (البقرة، 213).
- (187) انظر: الزمخشري، الكشاف، 321/1، وأبو حيان، البحر المحيط، 1/610، والسمين، الدر المصون، 404/1.
- (188) انظر: الطبري، جامع البيان، 350/2.
- (189) انظر: القرطبي، الجامع، 23/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 144/2، والسمين، الدر المصون، 519/1.
- (190) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، 98/5.
- (191) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، 98/5، وقد أتى على عشرة معان لها في شرح المفصل.
- (192) الآية (الأنعام، 139).
- (193) الآية (النمل، 75).
- (194) الآية (البقرة، 125).
- (195) انظر: الفراء، معاني القرآن، 358/1.
- (196) الآية (صاد، 46).
- (197) انظر ما قاله فيها: انظر: الزمخشري، الكشاف، 55/2، وأبو حيان، البحر المحيط، 234/4، والسمين، الدر المصون، 196/3، وقد ذكروا المعاني الثلاثة، أما القرطبي فاكتفى بدلالاتها على التأنيث والمبالغة في الجامع، 63/7.
- (198) انظر: الطبري، جامع البيان، 358/5.
- (199) انظر: الزمخشري، الكشاف، 159/3، وأبو حيان، البحر المحيط، 90/7، والسمين، الدر المصون، 327/5.
- (200) هذا مذهب الأخفش، معاني القرآن، 154/1، وانظر: القرطبي، الجامع، 76/2.
- (201) لعله الأخفش، فقد ورد له هذا الكلام في معاني القرآن، 154/1، وأشار إلى المعنيين السمين في الدر المصون، 363/1.
- (202) انظر: الطبري، جامع البيان، 581/1.
- (203) الآية (التوبة، 103).
- (204) الآية (الرعد، 31).
- (205) الآية (الغاشية، 11).
- (206) انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 379/2، وابن الأنباري، البيان، 344/2، والعكبري، التبيان، 658/2، والقرطبي، الجامع، 159/8.

-
- (207) ذهب إلى المعنيين: الطبري، جامع البيان، 390/7-391، والقرطبي، الجامع، 210/9، وأبو حيان، البحر المحيط، 384/5، والسمين، الدر المصون، 244/4.
- (208) انظر: ابن الأنباري، البيان، 42/2، والعكبري، التبيان، 759/2.
- (209) انظر ما قاله فيها: النحاس، إعراب القرآن، 212/5، وابن الأنباري، البيان، 428/2، والسمين في الدر المصون، 514/6.
- (210) انظر: تمام حسان، العربية: معناها ومبناها، 163.
- (211) الآية (الإسراء، 46).
- (212) انظر: النحاس، إعراب القرآن، 427/2، والعكبري، التبيان، 823/2.
- (213) انظر ما قاله السمين في الدر المصون، 266/5.
- (214) الآية (البقرة، 222)، وقد أتيت على ملحظ انفتاح الدلالة في القرآن في جميع المستويات اللغوية، انظر: مهدي عرار، انفتاح الدلالة في النص القرآني الشريف وجه من وجوه الإعجاز المعجب، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا، العدد 27، 2002م.